العدد 6 ربيع الأول 1430

قضايا جهادية

مجلة إسلامية بحثية تهتم بالشأن الجهادي العالمي

قائمة الـ 85

ردة فعل على قرار التوحد

الفريضة المميعة : الموالاة و المعاداة في الله

استراتيجيات باراك أوباما

مركز اليقين الإعلامي - قضايا جهادية - العدد السادس - ربيع الأول 1430 - مارس 2009 - حقوق النشر لكل مسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحيّة

أفغانستان ليست العراق يا أوباما

عبارة كررها الكثير من الخبراء في وسائل الإعلام الأمريكية ، تحذيراً لأوباما من مشروع حملته الانتخابية الذي يتحدث عن نقل أكثر من ٣٠ الف جندي أمريكي من العراق إلى أفغانستان ، وقد تم تسويق مشروعه هذا على أنه الحل السحري لوقف هزائم الأمريكيين في أفغانستان ، حيث يتم حاليا العمل على نقل ١٧ ألف منهم بمعدل ٥ آلاف جندي وضابط شهرياً .

فحسب ما يبدو من ظاهر الأمور فإن أوباما لا يملك تصوراً واضحاً عن الخطوة القادمة بعد نقل الجنود إلى أفغانستان ، ولا عن المهمة الدقيقة التي سيكلف بها هؤلاء الجنود الجدد ، حيث سيصل الجنود إلى ساحة القتال ولم تتضح بعد خطة أوباما للاستفادة من هؤلاء الجنود الذين سيدخلون ساحة قتال جديدة لم يألفوها سابقاً تختلف كثيراً عن ساحة القتال في العراق، و حتى قائد قواته بترايوس صاحب صحوات العراق يبدو أنه لا يملك مشروعاً آخر في أفغانستان بعد أن فشلت محاولاته لإنشاء صحوات مماثلة في أفغانستان ومناطق القبائل في باكستان .

ومما يزيد الطين الأفغاني الذي يغوص فيه الأمريكيون بلة ، الرفض القاطع لجميع حلفائهم الأوربيين في الناتو إرسال أي جنود إضافيين إلى افغانستان بعد أن أعلن قادتهم العسكريون استحالة تحقيق النصر على المجاهدين هناك ، مما قد يجعل أوباما وحيداً بانتظار صيف أفغانستان القادم الذي سيكون بالتأكيد أشد حرارة من فصول الصيف التي جربها بوش جميعاً ، بل ربما يكون الصيف الأخير الذي سيربح فيه الضباط الأمريكان من صفقات الأفيون الأفغاني الرخيص .

فالمجاهدون لا يرون في الـ ١٧ ألف جندي الذين سيحلون على أرضهم سوى ١٧ ألف هدف جديد لعمليات القنص والعبوات الناسفة والعمليات الاستشهادية ، وفي الوقت نفسه هُم تخفيف للحمل عن إخوان لهم في جبهة أخرى .

بل ربما يتذكرون قول الرشيد عندما خاطب السحابة : أمطري حيثما شئت فإن خراجك عائد إليّ ، فيقول أحدهم مخاطباً جنود الصليب : انتقلوا حيثما شئتم فلن تجدوا غير سيوف أهل الإسلام بانتظاركم أينما حللتم .

قضايا جهادية

مجلة إسلامية بحثيّة تهتم بالشأن الجهادي العالمي

العدد السادس - ربيع الأول ١٤٣٠ هـ

تصدر عن :

مركز اليقين الإعلامي

رئيس التحرير
حامد بن حسن القحطاني

الفهرس

قضايا إيمانية

الفريضة المميعة : الموالاة و المعاداة في الله (عبد الله العامري) ..... صـ ٤

في الصميم

نداء إلى المسلمين (الشيخ مروان حديد - رحمه الله) .....صـ ٩

خبر وتعليق

التآمر القطري ضد المجاهدين ، هذه المرة بريشة القرضاوي .....صـ ١٥

تأملات في المنهج

تحريرِ ضابطِ ما يوجِبُ الافتراقَ مِن الخلافِ (معتز بالله حامد).....صـ ١٦

متابعات

اتفاق سوات . . تطبيق الشريعة ام مؤامرة جديدة (حامد القحطاني) صـ ٢٠

قضايا استراتيجية

استراتيجيات باراك أوباما (خالد عبد الرحمن النوبي) ..... صـ ٢٤

قائمة الـ ٨٥ ردة فعل على قرار التوحد (معاذ الخوستي «أبو عمار»)....صـ٣٠

قضايا إعلامية

قناة الفاخورة (أبو طه المقداد) .....صـ ٣٩

وثائق جهادية

تفريغ كلمة صوتيه لأمير تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب.....صـ ٤٣

قضايا إيمانية

الفريضة المميعة: الموالاة و المعاداة في الله

عبد الله العامري

يُقرر أهل العلم أن تكرار الآيات في موضوع معين لهو دليل على أهمية هذا الموضوع الذي يكرّره رب العزة و الجلال في كتابه , و إن من أكثر ما كُرّر في كتاب الله بعد وجوب التوحيد و تحريم ضده, هو موالاة المؤمنين و البراءة من المشركين , كما ذكر ذلك العلامة حمد بن عتيق - رحمه الله -

و مِن أهم معالم الضعف في هذه الأمة بل في كل أمة مهزومة أو مستضعفة , انشراخ جدران الولاء و البراء عند أبنائها , و تحول موالاتهم لأعدائهم أو إلى حطام الدنيا الزائل , و من المعلوم لكل ذي لُبّ أن من أهم معالم القوة و الاستعلاء لدى الأمم القوية المنتصرة هو اعتزازهم بقيمهم و حضارتهم و ثقافتهم , حتى يؤدي ذلك إلى موالاتهم و معاداتهم على هذه الحضارة و ما تحوي من قيم و مبادئ , فهذا هو الخط الأحمر و الأخير في قلاع القوة التي تمتلكها أية أمة .

و لا عجب أن تصرخ الشعوب الأوروبية في قادتها للابتعاد عن هيمنة الثقافة الأمريكية التي كانت - سابقاً قبل دخولها في معركة مع المجاهدين - في أوج قوتها و نضارتها , لأنهم يدركون جيداً هذا المعنى , و الذي هو و لا شك عنوان الأمة القوية المتحررة من القوى الأخرى , و لذلك كان من تصريحات رئيس الحملة الصليبية - سابقاً - بوش المتزامنة مع الحملة العسكرية أنه سينشر الثقافة الأمريكية ؛ لأنه يعلم أهميتها.

و لذلك افترض الله عز و جل هذه الفريضة العظيمة و التي تُعد من أهم أصول الدين و أعمدته العظام , فالأمة التي لا تمتلك هذه العقيدة لا تستطيع دفع الأعداء و لا الجهاد في سبيل الله (و اللذان هما أجلى صور الموالاة للمؤمنين و المعاداة للكافرين) , و لذلك قال الله تعالى :

«وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْض يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»

وأعلى صور الأمر بالمعروف ... - هو : الجهاد في سبيل الله , فإذا ضعفت موالاة الأمة و معاداتها في الله أو انحرفت , ضُعف قيامها بالجهاد خصوصاً و هو أول ما يضعف منها ؛ لأنه أعلى المراتب , ثم ضعف قيامها بفريضة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عموماً .

و لهذا حرص الإسلام على أن يكون أتباعه ممن تمسكوا بهذه الفريضة و قاموا بها على وجهها , فَسَدّ كل الذرائع المؤدية إلى الخلل في فريضة الولاء و البراء أو إلى تسلل الوهن إليها, فمنع التشبه بالكفار و أمر بمخالفتهم و حرص على ذلك , حتى صيام عاشوراء أضاف له النبي - صلى الله عليه و سلم - يوماً يُصام معه , لأجل مخالفة الكفار لا غير , و هذا يدلُّك على أهمية هذا الباب في دين الإسلام .

و هذا ليس غريباً إذا علمنا ما تقدم من أن الخلل في الموالاة و المعاداة و انحرافها عن غير مسارها الصحيح هو سبب أولي في ترك الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الذي منه الجهاد في سبيل الله , فضلاً عن أنه ركن من أركان القدرة على إقامة الدين و دعوة الناس إليه , إذ لا يستطيع فعل ذلك إلا من هو معتز غاية الاعتزاز بما يدين به و لن يصمد أمام شبهات و مغريات العدو إلا من هو كذلك .

فهذه الفريضة - في الحقيقة - هي روح الإسلام و التي بدونها لا يستطيع المرء أن يبقى في هذه الدنيا عزيزاً شامخاً متمسكاً بدينه و عقيدته , بل سيبقى مهاناً ذليلاً , و تابعاً لا متبوعاً .

فلا عجب أن تكون هذه الشعيرة كما قال السعدي - رحمه الله - :

(موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان ؛ لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله وجهاد أعدائه , قال تعالى: «وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْض» فمن والى الكافرين من دون المؤمنين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله و يفتنوا أولياءه , خرج من حزب المؤمنين وصار من حزب الكافرين).

قال ابن القيم - رحمه الله - :

لو كان حبهم لأجل الله ما ... عادوا أحبته على الإيمان
ولَمَا أحبوا سُخطَه وتجنبوا ... محبوبه ومواقع الرضوان
شرط المحبة أن توافق من تحب ... على محبته بلا عصيان
فإذا ادَّعيتَ له المحبة مع خِلا ... فكَ ما يُحبُّ فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدَّعي ... حباً له ما ذاك في إمكان

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - :
(من أحوال القلب و أعماله ما يكون من لوازم الإيمان الثابتة فيه , بحيث إذا كان الإنسان مؤمناً لزم ذلك بغير قصد منه و لا تعمد له , و إذا لم يوجد دل على أن الإيمان الواجب لم يحصل في القلب , و هذا كقوله تعالى :
«لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ»
فأخبر - تعالى - أنك لا تجد مؤمناً يواد المحادين لله ورسوله , فإن نفس الإيمان ينافي مُوادته , كما ينفي أحد الضدين الآخر , فإذا وُجِد الإيمان انتفى ضده و هو موالاة أعداء الله , فإذا كان الرجل يوالي أعداء الله بقلبه كان ذلك دليلا على أن قلبه ليس فيه الإيمان الواجب).

تعريف الموالاة :

انصبّ كلام أهل العلم على تعريف الموالاة بأنها هي النصرة و الإعانة و المحبة , قال البغوي - رحمه الله - في تفسير «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ» : أي ناصرهم و معينهم ا.هـ , ففسر الولاية بالنصرة و الإعانة , و قال السعدي - رحمه الله - : وأصل الولاية المحبة والنصرة ا.هـ و قال في موضع آخر : وهذا نهي من الله تعالى للمؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين وتوعد على ذلك . ا.هـ

فمن ناصر الكفار أو أعانهم أو أحبهم فكل هذا من ولايتهم التي ورد النهي الشديد عن صرفها إلى الكفار و أن الواجب أن تكون لأهل الإيمان , كما قال تعالى :
«لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ» .
و قد جعل بعضهم الركن الأكبر في الموالاة هو الحب , و الثمرة العملية لهذا الحب هي النصرة , و هذا غير صحيح , و ليس لذلك مستند من لغة العرب و لا نصوص الوحيين , و إنما يذكرون ذلك نصرة لمذهبهم في هذه المسألة كما سيتضح لك .

و الصحيح أن الركن الأكبر فيها أنها هي النصرة التي تستلزم المحبة و الإعانة و الإكرام و نحو ذلك , و يؤكد هذا أن الإنسان قد يوالي قوماً مع عدم محبته لهم بل يناصرهم لأجل جاه أو مال أو أي غرض آخر , فلو كانت المحبة هي ركن فيها لما سُمِّي فعله حينئذ - موالاة !

و على هذا أئمة اللغة كالفراء و الكسائي و الزجاج و الأزهري و غيرهم , فقد نقل في لسان العرب عن الفراء قوله في معنى قول الله تعالى (أَن تَوَلَّوْهُمْ) : أي تنصروهم , ثم أورد كلام الأزهري تعقيباً عليه , فقال : قال أبو منصور : جعل التولي ههنا بمعنى النصر من الولي و المولى وهو الناصر . ا.هـ و قال في مختار الصحاح : و الولاية بالفتح والكسر النصرة . ا.هـ

فجعْلُ المحبة أولى معاني الموالاة يعوزه الدليل بل هو خطأ ظاهر كما تقدم .
و الفرق بين الأمرين : هو أن من جعل الموالاة ترتكز على الحب أراد بهذا نفي تكفير من أتى بالنصرة العملية لأنها ثمرة للحب , و ما دام أن أصل الموالاة و ركنها الأعظم موجود و هو المحبة , فإن هذا يعني - عندهم - أن من لم يأت بالثمرة فإن أصل الإسلام يبقى معه , و ذلك كمن قاتل ضد المسلمين و صار تحت راية الصليب يفتح لهم البلدان و يجعل المسلمين عبيداً و سبايا للصليبيين فإنه لا يكفر - عندهم - حتى يصرح عن عقيدته بأنه يحب دين الكفر و أهله فعند ذلك فقط يكفر ! , و هذا ظاهر الفساد , تمجه العقول الصحيحة و الفطر السليمة , فضلاً عن النصوص الصريحة الصحيحة و بضدها تتبين الأشياء .

و موالاة الكفار على قسمين : الأول : الموالاة الكبرى و سماها بعض أهل العلم بـ (التولي) و هي كفر أكبر مخرج من الملة, كما قال تعالى : «وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ» .
و الثاني : الموالاة الصغرى و هي كبيرة من كبائر الذنوب , و يدل على ذلك عمومات الآيات و الأحاديث التي تنهى عن موالاة الكفار و ما يوصل إليها .
قال العلامة عبد الله بن عبد اللطيف - رحمه الله - :
(فرقٌ بين التولي و الموالاة عند أهل التحقيق :
فالموالاة مثل : لين الكلام و إظهار شيء من البشاشة , أو لياقة الدواة[1] أو ما أشبه ذلك , خصوصاً إذا كان يعرف بالبراءة من دينهم و إظهار ذلك لهم , فهذا مرتكب كبيرة بموالاته على هذه الأمور , و هي من أكبر كبائر الذنوب .

و أما التولي الذي حقيقته الإكرام و الثناء و النصرة و الإعانة و المعاشرة و عدم البراءة الظاهرة , فهذه ردة صريحة كما دل على ذلك الدليل من : ١- كتاب الله ٢- و سنة نبيه - صلى الله عليه و سلم ٣- و اتفاق العلماء على ذلك . ا.هـ [2]
فالموالاة الصغرى هي من أكبر الكبائر ليس لوجود محبة للكفار , بل هي كذلك مع البراءة منهم و من دينهم , سواء أقام بما يجب عليه من إعلان ذلك , أو لم يزد على البراءة القلبية , و إنما صار كبيرة من أكبر الكبائر لأن هذه الأفعال فيها تعظيم لهم و إعلاء لمنزلتهم و رفعة لقدرهم و إشعار بسيادتهم , فكل ما كان من هذا الجنس و أشعر بتعظيمهم و علوهم مع بغضهم و البراءة منهم كان تحت هذا القسم الذي لا يخرج من الملة .
و أما أهل الذمة فيختصون عن غيرهم بجواز الإحسان إليهم بما لا يؤدي إلى ما سبق كالرفق بضعيفهم و إطعام الجائع و إيصالهم لحقوقهم , و احتمال أذاهم لا خوفاً منهم

١- قال الإمام ابن الجوزي في الغريب : في الحديث : (أين من ألاق لهم دواة) أي أمسكها . ا.هـ , و قال في القاموس المحيط : لاقَ الدّواةَ ... جعلَ لها لِيَقَةً أو أصْلَحَ مِدادَها . ا.هـ , و قال الجواليقي : لاق الدواة و ألاقها إذا حبس الأنقاس فيها حتى يلصق ا.هـ أي يلصق بصوفة الدواة , و الأنقاس تعني المداد الذي يُكتب به , قال في لسان العرب : النقس : المداد , و الجمع أنقاس ا.هـ
٢- و هذا يبين لك أن الجندي المنتسب للإسلام المنضوي تحت راية الحملة الصليبية كافر مرتد , و أنه أولى بالقتل من إخوانه جنود النصارى الآخرين , و إن صلى و زكى و صام و حج البيت الحرام, بإجماع أهل العلم .

أو تعظيماً لهم , و نحو ذلك مع البراءة التامة و البغض لهم, فهذا الذي لا يؤثم عليه المرء بل يؤجر على قدر نيته .

و أما الموالاة الكبرى فيبينها الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن بقوله: (الأمر الثالث - من نواقض التوحيد - : موالاة المشرك و الركون إليه و نصرته و إعانته باليد أو اللسان أو المال كما قال تعالى «فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ») ا.هـ فمن نصرهم و أعانهم بالفعل أو القول , فقد خرج من الملة و مأواه النار و بئس المصير .

و لاحِظ قول العلامة عبد الله بن عبد اللطيف حينما قال في التولي : و عدم البراءة الظاهرة ا.هـ أي أنه لو كان هناك براءة باطنة مبغضاً الكفر و أهله و قد تولى المشركين , لم يكن مسلماً بل يكون مرتداً باتفاق العلماء كما نقل - رحمه الله - .

و اعلم بأنه في الأعصار المتأخرة خرج من «المتسننة» من يزعم أن الموالاة الكبرى لا يكفر صاحبها حتى يعتقد محبة دين الكفار , فمن قاتل تحت راية المشركين ضد المسلمين بل حتى لو قاد جيوش المشركين لاستباحة بيضة المسلمين فإنهم لا يقولون بكفره حتى يصرح بمحبة دين المشركين و يقصد علوهم و ظهورهم على المسلمين ! و هذا قول فاسد مظلم يفتقد نور الوحيين و قد تقدم شيء من ذلك.

قال الإمام ابن عطية - رحمه الله - عند قوله تعالى : «لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء .. » : (هذا النهي عن الاتخاذ, إنما هو فيما يظهره المرء , فأما أن يتخذه بقلبه ونيته فلا يفعل ذلك مؤمن , و المنهيون هنا قد قرر لهم الإيمان فالنهي إنما هو عبارة عن إظهار اللطف للكفار والميل إليهم) ا.هـ أي ما اصطلحوا عليه بالموالاة الصغرى .

و قال الإمام سليمان بن عبد الله - رحمه الله - :
(فأخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا , و لم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس و المال و الحرمة , بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ؛ ليدفع شرهم أنه مرتد) ا.هـ فكيف بمن وافقهم من غير قتال ؟؟ فكيف بمن سارع إليهم مع أنهم لم يقاتلوه كمرتدي الصحوات ؟؟ لا شك أنهم أولى بأن لا يعذروا , و أنهم أشد كفراً من أولئك الذين تكلم الله عنهم , قال الإمام سليمان بعد ذلك : (فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له , عرفت أن الذين يأتون إليهم يسارعون في الموافقة لهم من غير خوف و لا قتال أنهم أولى بعدم العذر و أنهم كفار مرتدون) ا.هـ
و قال الشيخ المحدث سليمان العلوان رداً على هؤلاء : (و ليس من شروط الكفر أن تكون مظاهرته للكفار محبة لدينهم و رضى به , فهذا الشرط ليس بشيء ؛ لأن محبة دين الكفار و الرضى به كفر أكبر بإجماع الناس دون مظاهرتهم على المسلمين فهذا مناط آخر في الكفر . ولو زعم المظاهر محبة الدين وبغض الكفار والمشركين فإن كثيراً من الكفار والمرتدين لم يتركوا الحق بغضاً له ولا سخطاً لدينهم وإنما لهم عرض من عروض الدنيا فآثروه على الدين قال تعالى: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ») ا.هـ .

و قال الشيخ المحقق علي الخضير : (و من شبه المرجئة اليوم هو تقييد المظاهرة ببغض الإسلام أو لأجل كفرهم فيقول : إنه إذا ظاهر الكفار بغضاً للإسلام , أو ظاهر الكفار من أجل كفرهم هذا الذي يكفر , وما عداه فلا . وهذا قول باطل , و مصادم للنصوص ...) ا.هـ ثم ذكرها . [٣].
و عند النظر في قول هؤلاء نجد أنهم في الحقيقة قد أفرغوا النصوص من معانيها و مضامينها , فإذا كانت محبة دين الكفار كفر بالإجماع و هو من معاني لا إله إلا الله الضرورية و قد نص العلماء عليها في شروط هذه الكلمة , فإذا كان كذلك .. فما فائدة تكرار هذه النصوص العظيمة و تحذيرها و تكفيرها لمن تولى الكفار !
إن هذه الأهمية كامنة في أن هذه المسألة يكثر الوقوع فيها, و يقع أكثرهم دون أن يشعر بذلك , فهي قد أتت بمعنى قد يخفى على البعض , لا بمعنى ظاهر لكل من يعقل , و إلا كان تكراراً لا معنى له , و إلا فهل يخفى على مسلم أن محبة دين الكفار كفر أكبر ؟ .

جاء عن محمد بن سيرين أنه قال : قال عبد الله بن عتبة : ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر ! قال : فظنناه يريد هذه الآية «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء ..» و روي مثل هذا المعنى عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - . [٤]

و قد ذكر العلامة حمد بن عتيق - رحمه الله - حالات موافقة المشركين فقال : (اعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات :

الأولى : أن يوافقهم في الظاهر و الباطن فينقاد لهم بظاهره و يميل إليهم و يوادهم بباطنه فهذا كافر خارج من الإسلام سواء أكان مكرهاً على ذلك أم لم يكن مكرهاً ...

الثانية : أن يوافقهم و يميل إليهم- أي إلى المشركين - في الباطن مع مخالفتهم في الظاهر فهذا كافر أيضاً و لكن إذا عمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله و دمه و هو المنافق .

---

٣ - هؤلاء في الحقيقة يتفقون مع المرجئة في هذه المسألة , لكن من كان - من القائلين بهذا القول الشاذ - أصوله أصول أهل السنة و الجماعة فلا يطلق عليه مرجئ .
٤ - و لهؤلاء شبه كثيرة رد عليها أهل السنة بما يشفي و يكفي و فندوها خير تفنيد , و لمن أراد المزيد فليراجع كتاب «التبيان في كفر من أعان الأمريكان» للشيخ ناصر الفهد فهو كتاب قيم و جامع , و قد رد فيه على «٩» شبه لهم , و هناك غيره من رد على بعض الشبه الأخرى التي لم يطلع عليها الشيخ ناصر و لم يوردها في كتابه فلتُنظر .
و قد نقل عن بعض القائلين بهذا القول الشاذ من المعاصرين قبل تغير أحواله أنه قال : إن الخلاف في هذه المسألة سياسي أكثر من كونه خلافاً فقهياً ! ا.هـ و قد صدق .

الثالثة : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن و هو من وجهين :

أ- أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم و تقييدهم له و يتهددونه بالقتل فيقولون له إما أن توافقنا و تظهر الانقياد لنا و إلا قتلناك فإنه و الحالة هذه , يجوز له موافقتهم في الظاهر , مع كون قلبه مطمئن بالإيمان كما جرى لعمار - رضي الله عنه - ...

ب- أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن , و هو ليس في سلطانهم , و إنما حمله على ذلك إما طمع , أو رئاسة , أو مال , أو مشحة بوطن , أو عيال , أو خوف مما يحدث في المال , فإنه في هذه الحال يكون مرتداً و لا تنفعه كراهته لهم في الباطن و هو ممن قال الله فيهم :

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»

فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر , الجهل أو بغضه , و لا محبة الباطل , و إنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين , هذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله و عفا عنه -) ا.هـ

و هذا كلام ظاهر بيّن في ردة من تولى المشركين و لو لم يقصد محبة دينهم أو ظهوره على الإسلام , قال العلامة أحمد شاكر - رحمه الله - :

(أما التعاون مع الإنجليز , بأي نوع من أنواع التعاون , قلّ أو كثر, فهو الردّة الجامحة , والكفر الصّراح, لا يقبل فيه اعتذار, ولا ينفع معه تأول , ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء , ولا سياسة خرقاء , ولا مجاملة هي النفاق), ثم ذكر التعاون مع الفرنسيين فقال : (فهم والإنجليز في الحكم سواء , دماؤهم وأموالهم حلال في كل مكان , ولا يجوز لمسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يتعاون معهم بأي نوع من أنواع التعاون , وإن التعاون معهم حكمه حكم التعاون مع الإنجليز : الردة والخروج من الإسلام جملة , أيا كان لون المتعاون معهم أو نوعه أو جنسه).

و يتبين للقارئ الفطن من الكلام السابق فساد تقسيم مجالس صحوات الردة في العراق أو أفغانستان إلى أقسام لإخراج بعضهم بل أغلبيتهم من حكم الردة , و أنه إحداث بدعة في الدين لم يأت بها شرع رب العالمين , و أنهم مرتدون جملة واحدة بلا خلاف بين أهل العلم كما تقدم . [٥]

و كلام أئمة أهل العلم واضح جلي في هذا , و أما كلام العلامة أحمد شاكر فما عليك إلا أن تضع كلمة (الأمريكان) بدل (الإنجليز) ليظهر لك بجلاء حقيقة الحزب المسمى زوراً بـ «الإسلامي» و نحوه من أحزاب الردة . [٦]

و ليتأمل الناظر في هذه المسألة .. في أصل من أصول أهل السنة و هو تلازم الظاهر و الباطن , فإنه مفتاح يجلو لك شبه القوم في هذه المسألة بل حتى في غيرها من المسائل المشابهة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (القلب إذا تحقق ما فيه - أي من الإيمان أو الكفر - , أثّر في الظاهر ضرورة لا يمكن انفكاك أحدهما عن الآخر , فالإرادة الجازمة للفعل مع القدرة التامة توجب وقوع المقدور , فإذا كان في القلب حب الله ورسوله ثابتا استلزم موالاة أوليائه ومعاداة أعدائه «لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ»، «وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ» فهذا التلازم أمر ضروري ... ومن عرف الملازمات التي بين الأمور الباطنة والظاهرة , زالت عنه شبهات كثيرة في مثل هذه المواضع التي كثر اختلاف الناس فيها) ا.هـ

و قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : (الأعمال الظاهرة في الشرع دليل على ما في الباطن , فإن كان الظاهر منخرماً حكم على الباطن بذلك, أو مستقيماً حكم على الباطن بذلك أيضاً و هو أصل عام في الفقه و سائر الأحكام العاديات و التجريبيات , بل الالتفات إليها من هذا الوجه نافع في جملة الشريعة جداً و الأدلة على صحته كثيرة جداً , و كفى بذلك عمدة أنه الحاكم بإيمان المؤمن و كفر الكافر ... بل هو كلية التشريع و عمدة التكليف بالنسبة إلى إقامة حدود الشعائر الإسلامية الخاصة و العامة .) ا.هـ [٧]

فمن قاتل مع المشركين ضد أهل الإسلام (و هي موالاة كبرى)؛ فإن هذا الظاهر الكفري يستلزم الباطن و لابُد , مثله كمثل من سجد لصنم أو دعا غير الله و نحو ذلك , فلا يصح اشتراط القصد في هذه الأمور الظاهرة غير الملتبسة التي تناقض أصل التوحيد , قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (من قال أو فعل ما هو كُفْرٌ ؛ كَفَرَ بذلك , و إن لم يقصد أن يكون كافراً إذ لا يقصد الكفر أحد إلا ما شاء الله) . ا.هـ

قال الشيخ علي الخضير : (ومثل هذه الشبهة , شبهة أخرى خطيرة مثلها وهي ربط المظاهرة بالاعتقاد وأنه لا يكفر حتى يعتقد . وهذا إرجاء وكفى . فإن الحكم أو الاسم إذا علق بالعمل والأمر الظاهر في الأدلة ثم صرف إلى الاعتقاد فهذا هو أصل الإرجاء الخبيث .) ا.هـ

و اعلم - رحمك الله - أن موالاة أهل الإيمان ليست على جنس واحد , بل إن من أصول أهل السنة أنهم يوالون المؤمن على قدر إيمانه و يبغضونه بقدر فسقه و معصيته , و هو ظاهر في كلام الأئمة - رحمهم الله - ,

---

٥ - هذا وجه واحد من أوجه فساد هذا التقسيم و إلا فالأوجه على فساده و بطلانه أكثر من هذا بكثير من النقل و العقل , و إن زخرفوه بالسياسة و فقه الواقع , و لكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

٦ - إطلاق أحكام التكفير يجب أن يقتصر على أهل العلم , و أن لا يحكم طالب العلم في مثل هذه الأمور الدقيقة بمجرد رأيه و دون رجوع لأهل العلم أصحاب الشأن في ذلك , فإطلاق الحكم على المعين إذا فعل مكفراً ليس على قاعدة مطردة كـ (١+١= ٢) فليتنبه لهذا و ليكن المسلم أحذر الناس و أخوفهم على دينه , قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : (وباب التكفير باب خطر ولا نعدل بالسلامة شيئاً) ا.هـ

٧ - طبعاً ليس هذا التلازم على إطلاقه , لكن الأصل هو هذا , فالمنافق يعمل في الظاهر صلاحاً لكنه لم يستلزم صلاح باطنه الفاسد .

قال الشيخ العلامة حمود الشعيبي - رحمه الله - :

(الناس بالنسبة للموالاة والمعاداة ثلاثة أقسام :

القسم الأول : من آمن بالله ورسوله ، وصدق بدينه وشرعه، وامتثل لأوامره ، وتجنب معاصيه ، فهذا القسم أهله يستحقون الولاية الكاملة من جميع الوجوه .

القسم الثاني : من كفر بالله ورسوله ، ولم يؤمن بدينه وشرعه ، فهؤلاء يستحقون المعاداة الكاملة من جميع الوجوه .

القسم الثالث : الذين آمنوا بالله ورسوله ودينه وشرعه ، ولكن حصلت منهم بعض المخالفات من ارتكابه بعض المعاصي وترك بعض الواجبات , فهؤلاء يوالون من جهة إيمانهم بالله ورسوله ويعادون من جهة تقصيرهم في الأوامر والنواهي) ا.هـ

و معاداة أهل القسم الثالث له شروط و ضوابط تضبط هذه القضية و ليس هذا موضعها , لأن الناس فيه بين إفراط و تفريط , و قد صنف فيه بعضهم مصنفات فلتراجع .

و بهذا تعلم أن الدين و أهله - حقاً - في غربة , و أن أهل الحق من بقية الخلق - صدقاً - في وحشة , فلا تعجب أن يقال للباطل و أهله أنهم أهل فقه و سياسة و حنكة , و للحق و أهله أنهم أهل غلو و تطرف و شدة , و حسب الموحد (طوبى للغرباء). [8]

٨ - رواه مسلم و غيره .

تعريف:

١ - يُعتبر الشيخ مروان من أهم قادة الدعوة والجهاد في العصر الحديث :
- ولد في حماة عام ١٩٣٤ في أسرة كلها من الاشتراكيين (حزب أكرم الحوراني) .
- تخرج من كلية الزراعة - جامعة عين شمس عام ١٩٦٤ . وكان قد تأخر في الجامعة بسبب كثرة اعتقاله من قبل مخابرات جمال عبد الناصر . كما درس الفلسفة في جامعة دمشق.
- قاد الاحتجاجات الشعبية في مدينة حماة ضد الممارسات المعادية للإسلام من قبل حكومة حزب البعث الطائفية. واعتقل بسبب ذلك . وحكم بالاعدام عام ١٩٦٤ بعد اعتصام قادَه في جامع السلطان بحماة حين قام النظام البعثي بقصف المسجِد بالمدفعية والدبابات لفك الاعتصام فقتل ٤ من المعتصمين . ولكن قدّر الله؛ فلم ينفذ فيه حكم الاعدام بسبب تدخل علماء سوريا مطالبين بإطلاق سراحه .
- كان عضواً في جماعة الإخوان المسلمين في سوريا ثم خرج منها بعد أن قرر إعلان الجهاد على حكومة البعث النصيرية .
- اعتقل مرة أخرى عام ١٩٧٥ بعد معركة دامت عدة ساعات ولاقى في السجن أقسى أنواع التعذيب دون أن يحصلوا منه على كلمة واحدة ترضيهم . وقتل بإبرة سامة في شهر حزيران عام ١٩٧٦ .
له ديوان شعر منشور مليء بمعاني التضحية والجهاد . فرحمه الله تعالى .

وهذه بعض من كلماته. التي نحسبه قُتل يؤمن بها.

يا إخوة الإسلام:

«قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ».

من المخاطب بهذه الآية يا معشر العلماء؟ وهل هي موجهه إلينا نحن المسلمين. كل المسلمين؟

وهل نفذتموها مع حكام بلادكم؟ أم تتعايشون معهم، ولا تظهرون لهم العداوة والبغضاء؟

وهل الحكام يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه؟
وإذا كانوا لا يحكمون بكتاب الله وسنة نبيه. وإذا كانوا لايتخذون من كتاب الله دستوراً لهم في حياتهم الخاصة والعامة. وفي القانون الذي يحكمون به البلاد فهل هم كفرة أم لا؟

أفتونا بعلم يا علماء الإسلام.

وإذا كان الحكام كفرة ظالمين وفاسقين. فما الفرق بينهم وبين اليهود؟ وإذا كانوا كاليهود فهل نعاملهم ونتعايش معهم فيما إذا احتلوا بلادنا وحكمونا؟ وكيف نفعل وما يكون موقفنا إذا احتل بلادنا يهود؟ وهل هناك فرق بين طاغوت عربي وطاغوت يهودي إسرائيلي؟ وهل يتوجب علينا قتالهم؟

وإذا كان علينا قتالهم فهل نعد العدة لقتال الكفار ثم نبدأ القتال. أم نقاتلهم من دون إعداد؟ أم نقول: ليست لدينا إمكانيات القتال ولذلك لا يوجب علينا؟
وما هو حكم القتال لأعداء الله ولإقامة دولة الإسلام. إذا كان أعداء الله هم الكفرة الحاكمون؟ هل هو حرام أم مباح أم مستحب أم سنة أم فرض؟
وإذا كان القتال فرضا فهو فرض عين أم فرض كفاية؟ ومتى وبأي سن يكلف المسلم بالقتال؟
وما حكم من يقاتل الكفار بمفرده لإعلاء كلمة الله هل هو في الجنة أم هو في النار؟
وما حكم من لاينوي قتال الكفار وإقامة دولة الإسلام وإعلاء كلمة الله؟ وما حكم من لايعمل لذلك؟

وما نسمي من يقول: الإسلام ديني. ولا يعمل بكتاب الله أو ينقص منه؟

هل تؤمنون بالقرآن والسنة جملة وتفصيلا؟

هل يتوجب عليكم العمل بجميع مافي القرآن والسنة. ما عدا الخصوصيات أم أن القرآن نزل على محمد صلى الله عليه وسلم. وهو خاص به وبأصحابه؟

والآيات التي لا تستطيعون العمل بها - كآيات الحدود لعدم وجود الحاكم المسلم والدولة الإسلامية - هل يتوجب عليكم أن تعملوا بكل الوسائل المطلوبة والمشروعة لكي تتمكنوا من تطبيقها في المستقبل. وذلك بالعمل على إزالة الطغيان وتحكيم الإسلام. أم أنتم في حِلّ من العمل بها على الإطلاق؟

وهل تعملون على إقامة حكم الإسلام لتتمكنوا من تطبيق وتنفيذ أوامر الله. أم تهملون ذلك ولا تتحملون - نتيجة إهمالكم - أية مسؤولية بين يدي الله تعالى؟

وهل يمكننا والحكام قد ركبوا رؤوسهم. ورفضوا أن يحكموا بدستور القرآن. وزجوا من يطالبهم بذلك في السجون. هل يمكننا إقامة حكم الإسلام ودولة الإسلام وإعلاء كلمته. دون اللجوء إلى القتال؟

وهل نحن مطالبون بإعداد القوة على قدر استطاعتنا لنواجه الكفار؟ وما معنى قول الله عز وجل:
«وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُواْ إِنَّهُمْ لاَ يُعْجِزُونَ{٥٩} وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ» ؟

وهل يجوز لمسلم أن يعتقد أن الكفار قد سبقوا، وأننا لاطاقة لنا بهم؟ أم هذا كان ظن الكافرين أنفسهم؟

أوليست هي المعركة بين جبار السماوات والأرض وبين الكفار؟! والله يدلنا على الطريق - طريق الإعداد - للوصول إلى رضوان الله تعالى وإرهاب أعداء الله تعالى؟

ما حكم القتال إذا سيطر الكفار على بلد أنتم فيه؟ وهل يخرج الابن للقتال بدون إذن أبيه، والمرأة بدون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه، والعبد بلا إذن السيد كما يقول الفقهاء؟ أم أن هذا الحكم قد تغير في زماننا؟!

وما معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من مات ولم يغزو ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق - أو مات ميتة جاهلية -)) ؟ وما مدى صحة هذا الحديث، وما معناه؟ وإن كان صحيحا فهل ينطبق علينا، وهل نحن مطالبون بالعمل بمقتضاه؟

وهل نغزو في سبيل الله، ونترك الكفار يحكمون بلادنا؟

هل يتوجب علينا قتال الكفار الحاكمين أولا، أم قتال الغزاة الكفار الذين احتلوا بلداً من بلدان الإسلام البعيدة؟ وأيهما أولى؟

ما حكم كل منهما يا معشر العلماء؟

وإذا كنا نريد الغزو والقتال وجهاد أعداء الله صادقين، أوليس من واجبنا إعداد القوة لذلك؟ والله يقول: «وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ».

وماذا نحكم على من لم يعد العدة للقتال وهو يملك أسبابها؟

هل نحن المسلمون عامة والعلماء، والجماعات الإسلامية خاصة، نعيش في بحبوحة من العيش في ظل نظام إسلامي؟ أم أننا نسام الخسف، من عيش الذل؟

هل الموت في طاعة الله خير، أم الحياة في ظلمهم وكفرهم وآثامهم والخوف منهم وعدم الإستعداد لقتالهم؟ هل الحياة بهذا الشكل حياة في طاعة الله أم معصيته؟

ماذا يقول العلماء المسؤولون عن الجماعات الإسلامية؟

وما معنى قول الله عز وجل: «مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ(١٥) أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ» ؟ وإذا كان هذا هو الطريق إلى النار فما هو الطريق إلى الجنة؟ «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ» ، «أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ».

وهل الجهاد الذي يأمرنا به الله سبحانه بقوله: «وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ» هو جهاد القلب واللسان فحسب، أم قتال التضحية والبذل؟ ماذا تقولون يا معشر العلماء؟

وهل يشتري الله من المؤمنين - كل المؤمنين - أنفسهم وأموالهم، أم ألسنتهم؟
وهل يسمى مؤمناً من رفض أن يبيع نفسه وماله لله؟

وما شرط هذه البيعة مع الله، أليس «يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» ؟ فهل ترونه قال: يخطبون ويدرسون ويتفلسفون ويصارعون فكريا، أو يستسلمون لسجن أعداء الله، وتعذيبهم دونما اعتراض أو مقاومة؟

وما معنى قوله تعالى: «أَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ» ؟ هل معنى هذا أن ينصر الله رسله بحمل السلاح لإعلاء كلمة الله والذود عن دينه وشريعته، وإقامة دولة الله في الأرض؟ أم معناه أن نستسلم لأعداء الله يقتلون ويهتكون الأعراض - أعراض المسلمات ويجبرونهن على الزواج من المشركين - دون أن نحرك ساكنا؟

أفتونا أيها العلماء.

وإذا كان لايقاتل في سبيل الله إلا المؤمنون الصادقون الذين مروا بمراحل التربية والسلوك، فمتى تنتهي مرحلة التربية هذه، يا من تقودون الجماعات الإسلامية؟
وما هو المقياس لتقدير أهلية المسلم لأن يكون مقاتلا، أو أنه غير أهل؟ أو أن الجماعة وأهل الطريق اهل للقتال أم لا؟

والله تعالى يقول: «إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ»، وأنتم ترغبون بالجنة.

ما الفرق أيها العلماء بين قول الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ» وبين قول الله تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ»؟
وما معنى «كتب» في الأولى و «كتب» في الثانية؟

وإذا كان معنى «كتب» : فرض، فبالتالي كان القتال فرضا على المسلمين، كما هو حال الصيام، ولكن إذا كان موعد الصيام رمضان، فمتى موعد القتال؟ أفتونا يا معشر الفقهاء.

فبأي حجة أيها المسلمون تعفون أنفسكم من القتال؟

وهل لكم يا أيها المسؤولون في الجماعات الإسلامية، والطرق الصوفية، أن تعفوا أنفسكم من القتال بحجة من الحجج الآتية:

- **عدم الإستعداد:** وما يمنعكم من الإستعداد، والله يأمركم به ولم يكلفكم فوق طاقتكم حين قال: «وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ»؟

- **الحذر والخوف** من انكشاف أمر الإستعداد للسلطة الكافرة الحاكمة:

«أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»، «فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ»، «فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ(٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ». أتتركون أمر الله بالإستعداد خشية الكفار، وتخافون العبيد الذين لايملكون لأنفسهم ضرا ولانفعا؟ وترك الإستعداد معصية.

- أو **تعتقدون أنكم لستم أهلا للقتال**، أو مواجهة أعداء الله:

وأنتم تزعمون أنكم من حزب الله، وترضون بالذل؟! فكأنكم تنسبون الذل لله عز وجل الذي تنتسبون إليه «وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ».

- أو **فقدان التربية الإيمانية** عند أفراد الجماعات الإسلامية أو أهل الطريقة أو نقصانها:

فهل تربية الكفار أقوى من تربيتكم لإخوانكم، ومريديكم؟ حتى أننا نجد أهل الكفر يندفعون للقتال، وأنتم وإخوانكم ومريديكم لا تندفعون! فما هي غايتهم؟ وماهي غايتكم؟ وما هو طريقكم؟ وما هو طريقهم؟ ومن هو ناصركم؟، ومن هو ناصرهم؟
«ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ».

وإن التربية الإيمانية لا تأتي إلا لمن يأخذون الإسلام كاملاً، ولا يتخلون عن فريضة الجهاد.

- أو **بحجة الحفاظ على الدعوة والتنظيم** ومصلحتيهما:

إذا كان الحفاظ على التنظيم هو الذي يمنعكم من القتال فما هي مهمة التنظيم؟!

إن تنظيمات الأحزاب والجماعات كلها تقوم على العمل للسيطرة على نظام الحكم في البلاد التي يقطنونها لكي يحكموا بمبادئهم ويحققوا أهدافهم مهما كانت تلك المبادئ والأهداف، وأما أنتم فتتركون القتال، وتعصون الله بتركك للقتال، وتخاذلكم عن نصرة دين الله، والله هو الذي علمنا أن طريق القتال هو الطريق الوحيد للنصر والغلبة وتحقيق المبادئ والأهداف، والله تعالى يقول: «قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ».

فهل جعلتم مصلحة التنظيم وثناً يعبد من دون الله؟!

وأما الدعوة فهي دعوة الله وقد تكفل بحفظها «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»، وما عليكم إلا أن تسيروا في طريق الدعوة والقتال لتنجوا من عذاب الله تعالى «وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ»، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ».

- **أو إخفاق الثورات**، كفشل ثورة الأكراد:

ما بالكم تضربون المثل بالثورات المخفقة الفاشلة لتبرروا قعودكم عن فريضة الجهاد، فإذا لم يكن في القتال إلا الموت أو القتل في سبيل الله، فهل الموت على الفراش أفضل؟ وأنتم تعلمون أن الموت والأجل بيد الله، ومن لايعتقد بهذا فهو كافر ببعض كتاب الله، ومن يكفر بشيء من القرآن فهو كافر، فاسمعوا إن شئتم :
«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ كِتَاباً مُّؤَجَّلاً»،
«فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ».

ثم اسمعوا إن شئتم «وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ». فهل تجدون في كتاب الله عز وجل مثلا يثبط المؤمنين عن القتال؟ أم أن الله سبحانه يقول: «كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ». ففي القتال ينال ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة.

ثم لا تنسوا أن الأكراد اعتمدوا في ثورتهم على ايران، واتخذوها سنداً لهم، فلما تخلت عنهم ايران، وتخلى عنهم سندهم فقدوا الثقة بالنصر وبأنفسهم، فهزمت ثورتهم، وأما نحن المؤمنين فإننا نتوكل ونعتمد على الله وهو ناصرنا و ولينا «وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ»، «وَكَفَى بِاللّهِ وَلِيّاً وَكَفَى بِاللّهِ نَصِيراً»، «ذَلِكَ بِأَنَّ اللّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ»، «إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ».

ثم اسمعوا إن شئتم «قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ».

فمن تبشرون بالنصر ومن تبشرون بالخذلان يا معشر المسلمين؟

- أو **عدم وجود النصير** الذي يمد بالذخيرة والسلاح:

إن الله كلفنا أن نعد ما استطاعتنا، وبعد ذلك نتوكل على الله، واسمعوا إن شئتم قوله تعالى:
«وَلِلّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً»، هذا من جهة، ومن جهة أخرى: ننتزع السلاح من أيدي أعدائنا بإذن الله.

- أو **عدم الثقة بإخوانكم المسلمين** أو عدم التعاون معهم:

والله تعالى يقول: «وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى». فإن بالإمكان أن يتعاون المسلمون على أكبر خير وهو قتال أعداء الله، وإقامة حكم الإسلام، ثم تتولد الثقة بطريق القتال.
ويعرف المخلصون من خلال المحن «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ». ومما يؤدي إلى الثقة والمحبة بين المسلمين أن يتذكر كل منا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: ((طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس)). وقوله أيضا: ((كل بني آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)). وعلى هذا يحاسب كل منا نفسه حساباً عسيراً، ويعتبر كل أخ من إخوانه معرضاً للخطأ بطبيعته. ولهذا يتوجب أن ينصحه ويتواصى معه بالحق والصبر ويتسامح معه بنية إصلاحه ولا يتكبر عليه.

وما أجمل صفات المؤمنين من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان في كل زمان ومكان. اسمعوا: «مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ». شغلتهم أخراهم عن التفكير في سفاسف الأمور، وتسقط عورات الناس وعيوبهم. وقد فهموا قول الله تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ».

إن الله قد كلفكم بالقتال، وتحريض إخوانكم المؤمنين، وإن لم يستجب لكم أحد فعليكم أنفسكم «لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ». «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ».

فهل تعفون أنفسكم من القتال بحجة عدم الإستعداد، والحذر والخوف من اكتشاف الأمر، أو فقدان التربية الإيمانية، والحفاظ على الدعوة ومصلحتها، وإخفاق الثورات الجاهلية وعدم وجود النصير الذي يمدنا بالذخيرة والسلاح، وعدم الثقة بإخوانكم؟
فإن الله تعالى لم يُعفِ من القتال إلا الأعرج والأعمى والمريض.

فما رأيكم يا قادة المسلمين ويا علمائهم؟

والسؤال يا معشر الفقهاء هو:

أيُعفى من القتال الفقير الذي لايملك العدة، أم عليه أن يقف إلى جانب المقاتلين إذا كان القتال فرض عين؟ وهل يتوجب على الأغنياء أن يسلّحوا الفقراء في حالة الإعداد للقتال؟ وهل يجوز للمسلمين أن يمنعوا سهماً في سبيل الله من أموال الزكاة إن وُجد من يطالب به ليتجهز للقتال في سبيل الله؟ وهل يغني عن الأغنياء أن يدفعوا زكاة أموالهم، هل ينجيهم ذلك عند الله إذا لم يقاتلوا بأنفسهم، وهم من غير أصحاب الأعذار المذكورين؟

وما معنى قول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ(١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ»؟ ألا يوحي هذا بأن العذاب واقع - أو سيقع - إن لم تجاهدوا؟ وأن النجاة من العذاب بالجهاد؟

وإذا كان السلاح في أيامنا لا يستطيع استعماله في القتال إلا المتدربون، فهل يكون التدريب فرضاً إذا كان القتال فرضا؟
ثم ما المقصود من قوله تعالى: «إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاء رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»؟ ثم اليس من الأفضل لهؤلاء الأغنياء الذين رضوا أن يكونوا مع الخوالف بقعودهم عن القتال ألا يتفلسفوا وألا يتحذلقوا ويتظاهروا بالفهم ويأتوا بالحجج الإبليسية ليثبطوا همم المجاهدين وهم لايعلمون؟ إنهم لا يعلمون بصريح الآية، فليحذر المؤمنون أن يسمعوا لأقاويلهم ولو كانوا من الكبار.

ومن هم الذين: «سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ»؟ أليسوا هم القاعدين عن الجهاد، الراكنين إلى الحياة الدنيا المتخاذلين عن نصرة دين الله، الذين يقول الله فيهم (إنهم رجس)، إنهم نجس، أنهم كالجيفة النتنة بين الأحياء، (ومأواهم جهنم)، لأنهم رضوا بالذل والهوان في الدنيا.

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل أن يخرج معه للقتال من كان في سن الخامسة عشرة، فبأي سن من العمر كان يعفيهم من القتال؟ - علما أن القتال كان بالسلاح الأبيض، وهو من أشق، وأصعب أنواع القتال - هل كان يعفي من القتال من بلغ الأربعين عاما؟ أم الخمسين؟ أم الستين؟ أم السبعين؟ وكم كان عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر غزوة غزاها؟ ألم يكن فوق الستين عاما؟ وكم كان عمره صلى الله عليه وسلم وهو يقول في غزوة حنين، في معترك القتال، وقد تراجع عنه أصحابه:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله.

وسؤال إليك أيها القائد:

بأي حجة تعفي نفسك من القتال، وترغب عن مواقف وقفها رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقارعة الكفر والمشركين، والله يقول: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً»؟

هل معنى أن يتعمم أحدنا، ويطلق لحيته، ويتعلم، ويتفقه في الدين، أن يُعفي نفسه من القتال بحجة حفظ العلم وتفقيه الناس في دينهم؟! أم أن واجبه أن يقود الناس في المعارك، ويحرّض المؤمنين، أسوة برسول الله سيد العلماء والفقهاء والمجاهدين؟

وبأي وجه تلقون الله تعالى، وتقابلون رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا سُئلتم يوم القيامة عن قعودكم عن قتال الكفار وركونكم إلى الظالمين؟ هل تقولون إننا كنا ضعفاء، أو كنا لانجد النصير؟ فها نحن ندعوكم للتعاون معنا على قتال أعداء الله، ونحن الأقوى **بالله**، فلا تسول لكم أنفسكم بأنكم معذورون، بل حَكِّموا كتاب الله بينكم، وبين أنفسكم.

وماذا يملك أعداء الله أن يفعلوا معكم إن كنتم مع الله؟ هل يستطيعون تقديم آجالكم؟ هل يستطيعون قطع أرزاقكم؟ هل يصيبكم إلا ما كتب الله لكم؟

وبأي حال تجدون أجر الله ومثوبته ورضوانه، بإغاظة الكفار ومحاربتهم، أم برضاهم عنكم والذلة لهم؟

«فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ»، إن الخسارة ليست خسارة المال، وليست خسارة الوظيفة، وليست خسارة الدنيا بأكملها، إنما الخسارة أن تخسر نفسك وأهلك يوم القيامة، «إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ».

إن أخشى ما أخشاه عليكم: إذا بدأ عباد الله بقتال أعداء الله، أن تقفوا موقف المتفرج ولا تقاتلوا فتكون النتيجة أن يسحقكم أعداء الله وأنتم في بيوتكم، ثم تذهبون بعدها إلى النار وغضب الجبار، لأن الله أمركم بالقتال فلم تستجيبوا، وأسلمتم إخوانكم المجاهدين لأعداء الله يقاتلونهم، وأنتم قاعدون.

والله سبحانه اشترى منكم أنفسكم وأموالكم مقابل الجنة، والشرط في هذه البيعة أن تقاتلوا فتَقتلوا وتُقتلوا، لا أن تتقاعسوا وتستسلموا للقتل كالنعاج.

أما إن كنتم من المستضعفين الذين ذكرهم الله، فمن واجبكم أن تنصروا المقاتلين بعواطفكم، وتشجيعكم، ودعواتكم، وبأموالكم إن كنتم من أهل المال، لا أن تثبطوهم عن القتال.

أما إذا بدأ القتال وأنتم لم تستعدوا لابالسلاح ولا بالتدريب، فهل أنتم معذورون عند الله؟ ألم تقرؤوا في كتاب الله «وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ»؟ فهل أنتم معذورون، أو تقبل حجتكم عند الله، أم أنكم لاتصغون لهذه الآية؟ وكأنها لاتعنيكم، ولعلكم كنتم تقرؤونها في صلاتكم، ولعلكم كنتم تفيض لها دموعكم دون أن تشعروا أنكم مطالبون بالعمل بها !

وما معنى قوله تعالى، يا معشر العلماء:
«وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً»؟
وبعد أن تفهموا لنا معناها، تذكروا معنى الآيات:
«وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ».

فهل تظنون يا معشر العلماء، ويا قادة الفكر والجماعات، ويا أهل التربية والسلوك، أن القعود عن الجهاد وقتال أعداء الله، ذنب صغير؟ اسمعوا إن شئتم «فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ»، «وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَداً وَلاَ تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ»، فلنتب إلى الله جميعا من ذنوبنا وتقصيرنا وقعودنا عن الجهاد، «وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»، ولنبدأ بالإستعداد للقتال، وبأس الكفار واقع بنا لامحالة، وليس أمامنا إلا أن يبدأ كل منا القتال ويحرّض المؤمنين، وهل من طريق إلا أن يكلف المؤمن نفسه، ويحرض إخوانه والله تعالى يقول: «فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ».

وهل هناك مجال للإختلاف على الجهاد وقتال أعداء الله، والآيات بينات واضحات؟ وماهي نتيجة الخلافات بعد أن جاءتنا البينات؟

اسمعوا إن شئتم قول الله تعالى، وهو يحذركم أن تكونوا كالذين «تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ(١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ».

إننا ندعوكم معنا للقتال، لإعلاء كلمة الله، وإقامة دولته في الأرض، وامتثال أمر الله تعالى «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ».
وسوف نبدأ القتال من حيث أمرنا الله أن نبدأ «قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً».

فمن كان يخشى على رأسه، فليخرج من البلاد إن كان الخروج منجيه، «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»، وأنى للفرار أن يُنجي من الموت أو القتل، «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ»، وأنى للقعود أن ينجي من القتل «قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ».

وكونوا على حذر من أن تتولوا، وتقولوا ما يقوله الكافرون «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ».

فالله... الله يا معشر العلماء والقادة والمربين:
بينوا حكم القتال لإخوانكم، وأعدوا أنفسكم، ومن معكم للقتال - قتال أعداء الله الكفرة الحاكمين - وليكن بيننا التعاون والتشاور لنقاتل في سبيل الله صفاً واحداً، وبآن واحد ولنترك الخلاف جانباً، لنتق **الله** فإن في الخلاف معصية الله تعالى، والذل والهوان في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

وإن من صفات حزب الله:
«يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ».
وإن الله يقول على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم سيد المجاهدين: «قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ».

وإنا على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرون نفدي إخواننا - كل المسلمين من أقصى الأرض إلى أقصاها - نفديهم بدمائنا وأرواحنا في سبيل الله، نتقرب بحبهم والذلة لهم والرحمة بهم إلى الله تعالى، ونعلن العداوة والبغضاء، والحرب على الكفار وأعوانهم، ولا نسلم أنفسنا أو إخواننا لأعداء الله، ولا نعطي الدنية في ديننا لأن قائدنا صلى الله عليه وسلم يقول: ((من أعطى الذلة من نفسه غير مكره فليس مني))، وليشعر كل منكم في قرارة نفسه أنه الأعلى والأعز بالله عز وجل:
«وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ».

فيا أيها المسلمون:

استعدوا لقتال أعداء الله فرادى وجماعات، فقد آن لنا أن نخلع عنا ثوب الذل، ونعيش في الدنيا كراماً في ظل نظام الإسلام، أو نلقى الله شهداء وهو راض عنا، وإنها لإحدى الحسنيين نصر أو شهادة.

اللهم هل بلغت... اللهم فاشهد... والله أكبر...
لله العزة ولرسوله وللمؤمنين
ولكن المنافقين لا يعلمون.

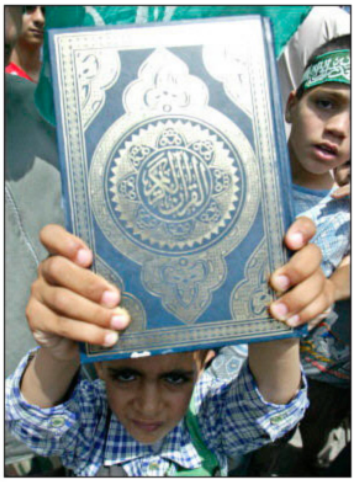

يا حكامنا ..
سئمنا ظلمكم

نريد تطبيق الشريعة

خبر وتعليق

التآمر القطري ضد المجاهدين

هذه المرة بريشة القرضاوي

من بين كل بيانات التأييد المختلفة التي نشرت بعد تعيين شيخ شريف «رئيساً منتخباً للصومال» ، كان بيان يوسف القرضاوي (رئيس اتحاد علماء المسلمين) أغربها جميعاً لما حواه من إشارات على توجه له ولاتحاده (الذي يحاول تنصيب نفسه متحدثاً عن المسلمين) في سبيل التدخل في الصومال لمصلحة ش.شريف المقبول أمريكياً .
فقد عرف القرضاوي ش.شريف بأنه الرئيس المنتخب، وهو الاسم الذي يطلقه أكثر عملاء أمريكا على أنفسهم ، فكرزاي هو الرئيس المنتخب لأفغانستان ، و المالكي هو رئيس الحكومة المنتخب في العراق ، وعباس هو الرئيس المنتخب للسلطة الفلسطينية ، ولا يهم طبعاً أن يذكر الناس طرق انتخابهم.

واليوم يزكي القرضاوي «شريف» بأنه انضم ايضاً لقائمة «الرؤساء المنتخبين» السالفة الذكر .
وبعد ذلك طالب جميع الصوماليين بالوقوف خلف الرئيس «المنتخب» ، وخاصة شباب المجاهدين .

ثم طرح القرضاوي عرضه الغريب والذي يستحق الوقوف عنده طويلاً لما فيه من إشارات هامة فقد عرض ما يلي :
«وبهذه المناسبة فإن الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين يعبر عن استعداده لرعاية أي حوار أخوي وجدّي بين الشيخ شريف والفصائل المعارضة في أقرب وقت ممكن، وفي أي مكان يختارونه، واستعداده لإرسال وفد رفيع المستوى من المكتب التنفيذي ومجلس الأمناء للقيام بهذا الواجب» .
فمنذ متى كانت الهيئات «الإسلامية» ترعى الحوارات، ويسمح لها بالتدخل في الشؤون الدولية ؟
ومنذ متى يسمح لهم بكل هذه الحرية التي يدل عليها عرض القرضاوي «في أقرب وقت ممكن، وفي أي مكان يختارونه، واستعداده لإرسال وفد رفيع المستوى من المكتب التنفيذي ومجلس الأمناء للقيام بهذا الواجب» ؟
لقد سمح للهيئات الإسلامية و المشايخ والجمعيات الخيرية بالتحرك في كثير من القضايا ولكن كانت كل تلك التحركات مضبوطة من قبل مخابرات آل سعود و غيرهم من عملاء أمريكا ، كما كانت دائماً في سبيل دعم شخصيات مرغوبة أمريكياً ، و دعم أطراف مشبوهة في سبيل إفشال المشاريع الإسلامية الحقيقية .

ففي أفغانستان تحركت الجمعيات الخيرية و المنظمات الإسلامية كثيراً ، ولكن ضمن الإطار المرسوم فكانت كل أموال التبرعات من الدول الإسلامية يتم توجيهها إلى جيب سياف الذي تم تسويقه من قبل تلك الهيئات والجمعيات على أنه شيخ المجاهدين ، في الوقت الذي كان فيه الكثير من قادة الجهاد الحقيقيين يطوفون كل دول الخليج دون أن يحصلوا على ريال واحد فقد كانت التوجيهات بحصر التبرعات لسياف وحده .

وكذا حدث في العراق عندما تدخل أشخاص معروفون وجمعيات خيرية وهيئات إسلامية في كل من قطر والسعودية لدعم الجهاد زعموا ، ولكن تبين الأمر المبيت فيما بعد ، وأن كل تلك الجهود كان لها هدف واحد وهو دعم الأطراف المشبوهة في سبيل تدمير العمل الجهادي في العراق و هزيمة دولة العراق الإسلامية .

أفلا يحق لنا بعد هذا أن نتساءل عن السبب الذي يجعل القرضاوي يتكلم ويبدي استعداداته وكأنه يملك زمام نفسه أو أن اتحاده الكرتوني هيئة مستقلة تملك حرية التصرف وحل النزاعات الدولية دون إذن بل وتوجيه أجهزة المخابرات المختلفة .

فهل ستشهد الأيام القريبة القادمة مباحثات في قطر بين شريف ومعارضيه - برعاية القرضاوي - تنتهي باتفاقهم وعزل الشباب المجاهدين ، مما يمهد الأمر لشن حرب عالمية ضدهم .

وهل سيعي أهل الصومال دروس العراق ، ويفهموا أن هدف الصليبيين تقسيم المسلمين فلا يمكن أن يسعوا لوحدتهم إلا لهدف آخر يحقق مصالحهم؟.

مجاهدون من حركة الشباب المجاهدين (نصرهم الله)

تحريرِ ضابطِ ما يوجِبُ الافتراقَ مِن الخلاف

معتز بالله حامد

هـذه تتمةٌ لآخرِ مسـألةٍ في المقالةِ الماضيـةِ ، وهي في تحريرِ ضابطِ ما يوجِبُ الافتراقَ مِن الخلافِ . فأقول : وهذا الافتراقُ له متعلَّقان:

الأولُ: الحكـم على المقالةِ بأنَّها بدعةٌ ومفارقةٌ لسـنَّةِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - ومخالفةٌ لهدي السَّابقينَ ، وتقدَّمَ بيانُ أنَّ ضابـطَ القطعِ بهذا مخالفتُهـا للإجماعِ القطعيِّ ، ولا يُشـترطُ للقطعِ بصحةِ الإجماعِ المنقولِ ما اشـترطَه له المتكلِّمون ؛ فإنَّ هذا لا يكادُ يوجَدُ ، بل يَكتسِبُ الإجماعُ القطعَ بما يحتفُّ بـه مِن قرائنَ ، ومِـن أقواها توارُد أئمـةِ الدِّينِ على حكايتِه (اشـتهارُه) ، وعدمُ ظهورِ مخالفٍ مِنهم ، وإطباقُهم على التشنيعِ على المخالفِ فيها ، وذكرُهم للمسألةِ في كتبِ أصولِ الدِّينِ ، فهذا هو ما يُلحَقُ بمسائلِ أصولِ الدِّينِ[1].

ويُنبَّه هنا إلى مسـألةٍ هامَّةٍ ، هي أنَّ تعليقَ الابتداعِ بمخالفةِ الإجمـاعِ المنضبـطِ المتـوارَدِ عليه ليـسَ مِن إهمـالِ الكتابِ والسُّـنَّةِ؛ فإنَّ ما خالفَ الإجماعَ القطعـيَّ مخالفٌ - ولا بُدَّ - للكتابِ والسُّـنَّةِ ؛ إذ لا يُجمِعُ المؤمنـون على أصلٍ مِن أصولِ دينِهـم مِن غيرِ وحيٍ ، فالكتابُ والسـنةُ ضِمـنٌ في الإجماعِ ومستَنَدٌ له ، قال ابنُ تيميةَ - رحمه الله - :

(فـإنَّ مـا دلَّ عليه الإجماعُ فقـد دلَّ عليه الكتابُ والسـنةُ ، ومـا دلَّ عليـه القرآنُ فعن الرسـولِ أُخِذَ ؛ فالكتابُ والسـنةُ كِلاهما مأخوذٌ عَنه، ولا يوجد مسـألةٌ يتفـقُ الإجماعُ عليها إلا وفيها نصٌّ)[2]، وإنَّما المسـتفادُ مِن الإجماعِ القطعُ بمخالفةِ مخالفِه للكتابِ والسُّـنَّةِ ؛ لئلا يُبَدَّع بما هو مِن موارِدِ الاجتهادِ، أو بمـا اختلفَ فيه السَّـلفُ - وإن كان فيه سُـنَّةٌ ثابتةٌ بدليلِ الشَّرعِ - لمعارضٍ عَرَضَ لبعضِهم ؛ فليس هذا مِن أصولِ الدِّينِ الـذي يُبدَّعُ مخالفُه وإن جازَ كونُـه بدعةً في نفسِ الأمرِ ، فإنَّ التَّأويـلَ في هذا مِن تأويلِ الفقهاءِ فـي اجتهاداتِهم ، وتقدَّم أنَّ هـذا بين أن يكونَ ممَّا يسـوغُ الاجتهادُ فيه ، أو ممَّا يُنكَرُ على صاحبِه ، وليس ممَّا يُبدَّع به[3] .

المتعلَّق الثاني: الحكمُ على صاحبِ المقالةِ بالابتداعِ . والوصفُ بالابتـداعِ قد يأتي مقيَّدًا بالمقالةِ أو العملِ الذي ابتدعه ، كأن يقالُ: هو مبتدعٌ في مسألةِ الإيمانِ أو مبتدعٌ في القدرِ ونحوِ ذلك ، مـن دون إطـلاقِ الوصـفِ أو ترتيـبِ الحُكمِ ، فلا إشـكالَ فيه وليس هو المـرادُ هنا . وإنَّما المرادُ هنا الحكمُ المطلقُ الذي تترتَّب عليـه أحكامُ التبديعِ ، ويُسـمَّى به صاحبُـه مبتدعًا بإطلاقٍ ويُخـرَجُ مِن جملةِ أهلِ السُّـنَّةِ والجماعةِ . فهـذا له ضوابطُ بعضُهـا متعلِّـقٌ بالمقالةِ نفسِـها ، وبعضُهـا متعلِّقٌ بحالِ صاحبِها، والمأخذُ الجامعُ لهذه الضوابطِ أن يكونَ الغالبَ على حـالِ المـرءِ الابتداعُ ، ويحصلَ بسـببِ بدعتِه الفُرقـةُ ، وهدمُ الدِّينِ[4]، وهذا يتفاوتُ بحسـبِ نوعِ البدعةِ ، ودرجتِها ، ومرتبةِ صاحبِها، وحرصِه على تحقيقِ السُّنَّةِ ، وظهورِ تأويلِه ، ومكانةِ هـذه المقالـةِ البدعيةِ عنـدَه ، ونحو ذلك ممَّا اعتبرَه السَّـلفُ - رحمهم الله - والمحقِّقون من العلماءِ لتبديعِ الأعيانِ .

ومِـن أوجهِ غلبـةِ البدعـةِ علـى صاحبِهـا أن تكـونَ كُلِّيَّةً مخالفةً لقواعدِ الشَّـريعةِ في بابِها ؛ فتؤدِّي إلى الابتداعِ في كثيـرٍ من الفروعِ المبنيةِ على تلك القاعدةِ ، قال الشَّـاطبيُّ :

(وذلك أنَّ هذه الفِـرقَ إنَّما تصيرُ فِرَقًا بخلافِها للفرقةِ الناجيةِ فـي معنى كلـيٍّ في الديـنِ وقاعدةٍ مِـن قواعدِ الشـريعةِ ، لا فـي جزئيٍّ مـن الجزئياتِ ؛ إذ الجزئيُّ والفرعُ الشـاذُّ لا ينشـأُ عنه مخالفةٌ يقع بسـببِها التفرقُ شيَعًا ، وإنما ينشأ التفرُّق عِنـدَ وقوعِ المخالفـةِ في الأمورِ الكليـةِ ، لأنَّ الكلياتِ تقتضي عـددًا من الجزئياتِ غيرِ قليلٍ)[5] ، وذلك كاشـتراطِ روايةِ الجمعِ الممتنـعِ عادةً تواطؤهم على الكذبِ عن جمعٍ مثلِهم في كلِّ طبقـةٍ رَوَتِ الحديثَ[6] ليُؤخَذَ به فـي العقائدِ[7] ؛ فإنَّ هذا يُبنى عليـه ردُّ ما ثبتَ بأحاديثَ تأخَّرَت عن ذلك الشَّـرطِ رُتبةً . وقد ردَّ المعتزلـةُ بذلك كثيرًا من الأحاديـثِ الصحيحةِ ، كأحاديثِ الرؤيةِ والشـفاعةِ والحوضِ ، وردَّ الأشـاعرةُ أحاديثَ النزولِ وأنَّ الله يضعُ قدمَه على النَّارِ وغيرَ ذلك . فترتَّب على هذه القواعدِ الكليةِ بِدَعٌ جزئيةٌ كثيرةٌ في أبوابٍ متفرقةٍ مِن الدِّينِ . وأخصُّ

---

١ - فالإجماعُ القطعيُّ - على هذا الإصطلاحِ - أعمُّ مِن المعلومِ مِن الدِّينِ بالضَّرورةِ؛ فيدخلُ فيما يخالفُه مقالاتٌ ليست بكفرٍ، كمقالةِ المفضِّلةِ والمرجِئةِ ومؤوِّلةِ بعضِ الصِّفاتِ .

٢ - مجموع الفتاوى ١٩١/١٩

٣ - فالـكلامُ هنا ليس عـن مطلقِ تبديعِ المقـالاتِ والأعمالِ ؛ فإنَّ كلَّ ما خالفَ سُـنَّةً مخالفةً ظاهـرةً ولـم يكن محلَّ اجتهادٍ سُـمِّيَ بدعةً ، وهذا بابٌ واسـعٌ ، يدخلُ فيه الأصـولُ والفروعُ ، والأقوالُ والأعمالُ . وإنَّما الكلامُ فيما يوجِبُ تبديعَ صاحبِه وإخراجَه مِن جملةِ أهلِ السُّـنَّةِ ، وهو البدعةُ في أصولِ الدِّينِ .

٤ - وهذا مأخوذٌ مِن مَعنَى الجماعةِ وضدِّه معنى الافتراقِ .

٥ - الاعتصام ٧١٢/٢

٦ - خـرَّز الكاتبُ من القولِ بأنَّ اشـتراطَ تواترِ الحديثِ ليؤخذ به فـي العقائدِ بدعةٌ ؛ لأنَّ مِن أهلِ العلمِ مَن يسمِّي الحديثَ إذا احتفَّت به القرائنُ متواترًا وإن لم يتحقَّق فيه ذلك الشَّرطُ البدعيَّ لحدِّ المتواترِ ، فيأخذُ في بابِ الاعتقادِ بما يسمِّيه المتكلمون آحادًا ويسمِّيه هو متواترًا .

٧ - العقائدُ عند متكلمي الأشـاعرةِ عقليـاتٌ إنما تثبتُ بالعقلِ وحـدَه ، كربوبيةِ اللهِ وصفاتِه والنُّبواتِ، وسـمعيَّاتٌ تثبتُ بالكتابِ والسـنةِ المتواترةِ - حسبَ شـرطِهم للتواترِ - دون السُّنةِ الآحاديةِ ، كعذابِ القبرِ والصِّراطِ والحوضِ والشَّفاعةِ ونحو ذلك .

مِـن الابتداع فـي قاعدةٍ كليـةٍ أن يكون الابتـداعُ في المنهج الاستدلاليِّ كلِّه ، فهو متضمِّنٌ لمجموعةٍ مِن القواعدِ البدعيةِ الكليةِ ، كجعلِ علم الكلام هو المعتبرُ في تقريرِ العقائدِ دونَ الكتابِ والسُّـنَّةِ ؛ فهذا ممَّا أجمعَ أهلُ العلمِ على تبديعِ أهلِه، كما نقله كثيرٌ مِن أهلِ العلمِ منهم الحافظُ أبو عمرَ ابنِ عبدِ البـرِّ فـي كتابِه جامعُ بيانِ العلمِ وفضلِـه ، قال : (أجمعَ أهلُ الفقه والآثار من جميع الأمصار أنَّ أهل الكلام أهل بدعٍ وزيغ)[٨]؛ فإنَّ في جعلِ علمِ الكلامِ مسـتمَّدَ العقائدِ مخالفةً ظاهرةً للكتابِ والسـنةِ بل هو إعـراضٌ عنهما ، ويترتَّبُ عليه قواعدُ وفروعٌ كثيرةٌ مِن البدعِ .

ومِن أوجهِ غلبةِ البدعةِ أن تكثُرَ مِن المتلبِّسِ بها البدعُ الجزئيةُ حتَّـى تغلِبَ على أمـرِه ، ولا يقومَ لها معارضٌ فـي حالِه مِن تعظيمِ السُّـنَّةِ ونبـذِ البدَعِ إجمالاً ؛ فإنَّ هـذا بمنزلةِ البدعةِ الكُلِّيةِ ، ووجهُ هذا ما بيَّنه الشـاطبيُّ - رحمه الله - في تمامِ كلامِـه المتقـدِّمِ ، قال : (ويجري مَجرى القاعـدةِ الكُليةِ كثرةُ الجزئيـاتِ ؛ فإنَّ المبتدعَ إذا أكثرَ مِن إنشـاءِ الفروعِ المُخترعةِ عادَ ذلك على كثيرٍ مِن الشـريعةِ بالمعارضةِ ، كما تَصيرُ القاعدةُ الكليـةُ معارضةً أيضًا)[٩]، وفي كلامِه ذِكْـرُ وجهِ التفريقِ بين البدعةِ الجزئيةِ الواحدةِ ، وكثرةِ البدَعِ الجزئيةِ التي تغلبُ على حالِ المرءِ في تأثيرِ كلٍّ في التبديعِ .

ومِـن أوجهِ غلبةِ البدعةِ أن تكونَ مغلَّظةً ، كأن تكونَ ممَّا كفَّرَ السـلفُ صاحبَه إجماعًا ، كتعطيلِ الجهميةِ ، والقولِ بخلقِ القرآنِ ، ومقالةِ غلاةِ المرجئةِ ، أو ما اختلفوا في تكفيرِ صاحبِه، كبدعـةِ الخـروجِ ، والرَّفضِ[١٠]، واشـتهرَ مخالفتُهـا للكتابِ والسُّـنةِ مخالفـةً ظاهرةً ، وتواردوا على تبديـعِ مَن انتحلها. وقد سُـئلَ ابنُ تيميةَ عن البدعـةِ التي يُعَدُّ صاحبُها مِن أهلِ الأهـواءِ ، فأجـاب : (والبدعـةُ التي يُعَـدُّ بها الرجـلُ مِن أهلِ الأهواءِ ما اشتَهَرَ عندَ أهلِ العلمِ بالسنةِ مخالفتُها للكتابِ والسنةِ ، كبدعةِ الخوارجِ والروافضِ والقدريةِ والمرجئةِ)[١١].

ومِـن أوجـهِ غلبةِ البدعةِ كذلـك أن يتَّخِذَ المرءُ قـولاً مُبتَدَعًا يَنصِبُه للناسِ ، ويجعلَـه محنةً لَهم ، ومَعقِدًا لولائه وبرائه، ومِثلُـه أن يتَّخِذَ لمثلِ ذلك جماعةً أو رَجُلاً ؛ فإنَّ هذا مِن أعظمِ مـا يُحدِثُ الفُرقـةَ ، ويوجِـبُ الإنـكارَ والمفارقـةَ ؛ إذ هو عينُ مفارقةِ الجماعةِ ، بتفريقِ الدِّينِ شِـيَعًا ، وهو المعنى الذي يدورُ حولَـه التبديـعُ ، قال ابنُ تيميةَ : (ومثلُ هـؤلاءِ إذا لَم يَجعلوا مـا ابتدعوه قـولاً يفارقون به جماعةَ المسـلمين يوالون عليه ويعـادون ، كان من نـوعِ الخطأ ، واللهُ سـبحانه وتعالى يغفرُ للمؤمنـين خطأهم فـي مثلِ ذلك . ولهذا وقـع في مثلِ هذا كثير من سـلفِ الأمة وأئمتها لهم مقـالات قالوها باجتهاد وهـي تخالف ما ثبـت في الكتاب والسـنة ، بخلاف من والى موافقَه وعـادى مخالفه ، وفرَّق بين جماعةِ المسـلمين وكفَّر وفسَّـق مخالفَه دون موافقِه في مسائلِ الآراءِ والاجتهادات ، واسـتحل قتالَ مخالفِه دونَ موافقِه ؛ فهؤلاءِ مِن أهلِ التفرُّقِ والاختلافـاتِ ؛ ولهذا كان أول من فارقَ جماعة المسـلمين من أهل البدع الخوارج المارقون)[١٢].

وأمَّا مَن وقعَ في بدعٍ جزئيةٍ يسـيرةٍ ، أو مَن قالَ مقالةً بدعيةً لم يتصوَّرْها ولم يلتزم لوازمَها ، أو مَن عظَّم السُّـنَّةَ وتحرَّاها إلا أنَّه لَم يُوَفَّقْ إلى تحقيقِها ، فإنَّ هؤلاءِ الثلاثةَ تُعَدُّ مخالفتُهم مِن قَبيلِ الخطأ والاجتهادِ ، ولا يُخرَجُون مِن جملةِ أهلِ السُّنةِ، وإن وَجَبَ التنبيهُ إلى زلَّاتِهم نصيحةً لئلا يُتَّبعوا فيها .

فالأولُ مثلُ ابنِ خزيمةَ في مقالتِه المعروفةِ في حديثِ الصُّورةِ؛ إذ كان على السُّـنةِ في أصـولِ باب الصفاتِ ، وسـائرِ أصولِ الدِّينِ ، وعَرَضَ له مِن التَّأويلِ ما جعلَه يتأوَّلُ حديثَ أبي هريرةَ - رضـي اللهُ عنه - عند مسـلم أنَّ النبـيَّ - صلى اللهُ عليه وسلم - قال : (إذا قاتل أحدُكم أخاه فليجتنب الوجهَ ؛ فإنَّ اللهَ خَلَقَ آدمَ على صورتِه)[١٣]، تأوَّله ابنُ خزيمةَ بأنَّ المرادَ : على صورةِ المضـروبِ[١٤]؛ فخالفَ في ذلك الإجماعَ على إثباتِ الصُّورةِ للهِ - عزَّ وجلَّ - ، فلم يُبدِّعْه أئمةُ الإسـلامِ ، وما زالوا يُثنون عليه، قـال الذهبـي بعد أن اعتـذر له : (ولـو أنَّ كلَّ مَـن أخطأ في اجتهادِه مع صحَّةِ إيمانِه ، وتَوخِّيه لاتِّباعِ الحقِّ أهدرناه وبدَّعناه، لقلَّ مَن يَسلَمُ مِن الأئمَّةِ مَعَنا)[١٥].

والثاني مثلُ الموفَّقِ ابنِ قدامةَ ؛ إذ قد تابعَ الغزاليَّ - في روضةِ الناظرِ - فقرَّرَ قولَ الأشـاعرةِ في مسـائلَ فرعيةٍ في مباحثَ عديدةٍ ، كالتكليفِ والتعليلِ والأمرِ ، مع أنَّه قد أحسـن تقريرَ مُعتقـدِ أهلِ السُّـنَّةِ في كتابِـه لمعةُ الاعتقـادِ ، وفي غيرِه ، وانتصرَ له في أصولِ الاعتقادِ[١٦]، ولم يُبدِّعْه أهلُ العلمِ ، وإنَّما حفظـوا له مكانتَه ، واعتذروا لـه وحملوا ما يُمكِنُ حملُه من كلامِـه على خيرِ محاملِه ، وكتابُـه اللُّمعة ممَّا اعتنى به أهلُ السُّنَّةِ شرحًا وتدريسًا في بابِ أصولِ الدِّينِ .

والثالـثُ مثلُ الحافظِ ابـنِ حجرَ ، حيثُ لم يُوَفَّقْ إلى السُّـنَّةِ فـي عددٍ مِن أبوابِ أصولِ الدِّيـنِ كالصِّفاتِ والإيمانِ ، فقد قال فيها بمقالاتٍ مُبتَدَعةٍ، ولَم يُبدِّعْه أهلُ العلمِ ؛ لتحرِّيه إصابةَ السنةِ وتعظيمِه للآثارِ، ونبذِه لمنهجِ أهلِ الكلامِ في الاستدلالِ العَقَـديِّ ، وإن وافقَهـم في بعضِ الأبوابِ تأثُّـرًا بالغالبِ على بيئتِه العلميةِ ، ومثلُه في هذا طائفةٌ مِن المشتغلين بالحديثِ مِن المتأخرينَ . كلُّ هؤلاءِ تُرَدُّ مقالاتُهم التي خالفوا بها السُّـنَّةَ المقطـوعَ بها ، ولا يُخرَجون مِن جملةِ أهلِ السـنةِ والجماعةِ ، ويُحفَظ لهم قدْرُهم ، وتُجبَرُ عثراتُهم ، ويَشفعُ لهم تأويلُهم

٨ - جامع بيان العلم وفضله ٩٤٢/٢

٩ - الاعتصام ٧١٢/٢

١٠ - وقـد أحـدثَ متأخرو الروافضِ بِدَعًا فوقَ ما كان عليـه متقدموهم ؛ إذ انتحلوا في العقائد طريقةَ المعتزلةِ ، ودخل عليهم الشِّركُ في العبادةِ وفي الربوبيةِ ، وغيرِ ذلك من البدعِ المغلظةِ.

١١ - مجمـوع الفتـاوى ٤١٤/٣٥ ، وقد قال في موضعٍ آخرَ : (وأما المرجئةُ فليسـوا مِن هذه البدعِ المغلظـةِ ، بل قد دخل في قولِهم طوائفُ مِن أهلِ الفقهِ والعبادةِ ، وما كانوا يُعدونَ إلا مِن أهلِ السنةِ ، حتَّى تغلَّظَ أمرُهم بما زادُوه مِن الأقوالِ المغلَّظةِ) مجموع الفتاوى ٣٥٧/٣ .

١٢ - مجموع الفتاوى ٣٤٩/٣

١٣ - وفي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعًا : (خلق اللهُ آدمَ على صورته) .

١٤ - انظر التوحيد لابن خزيمة ٨٤/١ ، وانظر كلام شيخ الإسلام في ردِّه على التأسيس للرازي .

١٥ - سير أعلام النبلاء ٣٧٦/١٤

١٦ - وانتُقِـدَ فـي مواضعَ محتملةٍ من اللُّمعـةِ ، انظرها وانظر كلام الشـيخ علي الخضير في كتابه (الزناد شرح لمعة الاعتقاد) .

وفضلُهم. قال الشاطبيُّ : (وأمَّا الجُزئيُّ فبخلافِ ذلك ، بل يُعدُّ وقوعُ ذلك مِن المبتدعِ له كالزَّلةِ والفَلتةِ ، وإن كانت زلةُ العالِمِ مِمَّا يهدمُ الدِّينَ ، حيثُ قال عمرُ بنُ الخطاب - رضي الله عنه - : «ثلاثٌ يَهدمنَ الدينَ : زلة العالِمِ ، وجدالُ منافقٍ بالقرآنِ ، وأئمةٌ مضلونَ» . ولكن إذا قَرُبَ موقعُ الزلةِ لم يَحصُلْ بسببِها تفرُّقٌ في الغالِبِ ولا هدمٌ للدينِ . بخلاف الكليات)[١٧].

فالأوجه التي يسوغُ إطلاقُ تبديعِ المرءِ بها المأخذُ فيها متقاربٌ؛ إذ هي دائرةٌ بين المعارضةِ البيِّنةِ الهادمةِ للسُّنَّةِ ، والإحداثِ الذي به تفارَقُ الجماعةُ ، وتجتمعُ في غلبةِ البدعةِ على حالِ الرجلِ ، وقد يعارضها أحوالٌ مِن تعظيم الأثرِ والسُّنةِ وحسنِ القصدِ . والمقصودُ أنَّ مجموعَ أحوالِ الرَّجُلِ مؤثرةٌ فيما يُحكَم به عليه . وقد يختلفُ أهلُ العلمِ في تطبيقِ هذه القواعدِ على الأعيانِ ، والواجبُ على العامةِ وطلبةِ العلمِ الحرصُ على اتباعِ العلماءِ المحققينَ في هذا البابِ ، وعدمُ الاستقلالِ بالحكمِ فيه ، لعُسرِ ضبطِه ، وقيامِه على الاستقراءِ ، ودقَّةِ المآخِذِ فيه[١٨] .

ويحسنُ في هذا الموضعِ التنبيهُ إلى مقالةٍ خطيرةٍ تتعلَّقُ بمسألةِ التَّبديعِ بمخالفةِ أصولِ الدِّينِ المجمَعِ عليها ، أعني إنكارَ بعضِهم تقسيمَ الدِّينِ إلى أصولٍ وفروعٍ ، وزعمَهم أنَّ هذا من الابتداعِ في الدِّينِ والزيادةِ عليه . وقد نسبَ هؤلاءِ هذه المقالةَ إلى شيخِ الإسلام - رحمه الله - بل على كلامه اعتمَدوا ، ومن ذلك قولُه : (أمَّا التفريقُ بينَ نوعٍ وتسميتُه مسائلَ الأصولِ ، وبين نوعٍ آخرَ وتسميتُه مسائلَ الفروعِ ، فهذا الفرقُ ليسَ له أصلٌ لا عَن الصحابةِ ولا عَن التابعينَ لهم بإحسانٍ ولا أئمةِ الإسلام ، وإنَّما هو مأخوذٌ عَن المعتزلةِ وأمثالِهم مِن أهلِ البدعِ وعَنهم تلقَّاه مَن ذَكَرَه مِن الفقهاءِ في كتبِهم)[١٩]. ولكنَّ إطلاقَ إنكارِ التقسيمِ وتبديعِه باطلُ النِّسبةِ إلى الشَّريعةِ ، وباطلُ النِّسبةِ إلى ابنِ تيميةَ .

فأمَّا بطلانُ نسبتِه إلى الشريعةِ فلأنَّ هذا التقسيمَ اصطلاحٌ محضٌ ، لا يُنكَرُ ما لم يتضمَّن باطلاً في الحدِّ أو الحكمِ أو يؤدِّ إليه ، أو يكُن فيه تركٌ للأسماءِ الشرعيةِ . فبابُه الاجتهادُ ، وقد سارَ عليه أئمةُ الإسلام اصطلاحًا وإقرارًا ، فكان إجماعًا منهم على مشروعيةِ التسميةِ به . وأمَّا كونُها محدثةً فإنَّها كتقسيمِ العلومِ إلى فقهٍ وتفسيرٍ وحديثٍ وغيرِ ذلك، وكتقسيمِ المأموراتِ إلى واجباتٍ ومندوباتٍ ، والمنهياتِ إلى محرماتٍ ومكروهاتٍ ، وكتقسيمِ الصلاةِ إلى أركانٍ وواجباتٍ وسننٍ ، وكتقسيمِ الأحكامِ إلى تكليفٍ ووضعٍ ، ونحو ذلك من التقسيماتِ المحدَثةِ التي أجمع أئمةُ الإسلامِ على إقرارِها والاصطلاحِ بها ، ولم يقل أحدٌ بأنَّ الاصطلاحَ ابتداعٌ في الدِّينِ. وهذا التقسيمُ صوابٌ من حيثُ إنَّ الناظرَ في شرائعِ الدِّينِ يجدُها على مراتبَ ، ويجدُ بينَها تفاضُلاً ، فمِنها ما أطبق عليه الرُّسلُ ومِنها ما اختلفوا فيه ، ومِنها ما اتَّفقَ عليه المسلمونَ والسَّلفُ ومِنها ما اختلفوا فيه ، ومِنها ما يجبُ تعلُّمه عينيًّا ومنها ما لا يجبُ ، ومِنها ما يكفرُ المرءُ بجهلِه أو تركِه ومِنها ما لا يكفرُ به ، وغير ذلك من أبواب التَّرتيبِ والتفاضُلِ ، وسيأتي ذِكرُ ابنُ تيميةَ لهذا الوجه .

وأمَّا بطلانُ نسبتِه إلى ابنِ تيميةَ فظاهرٌ لمَن لم يقف عندَ بعضِ كلامِه وعدَّى النَّظرَ إلى سائرِه ؛ لأنَّه قد قسَّم الدينَ إلى أصولٍ وفروعٍ في رسائلِه في عشراتِ المواضعِ وفي سياقاتٍ مختلفةٍ يجزمُ معها النَّاظرُ بغلطِ نسبةِ إنكارِ ذلك التقسيمِ إليه ، مِنها ذِكرُه أنَّ الرُّسُلَ قد اتَّفقوا على أصولِ الدِّينِ واختلفوا في شرائعِه ، كقولِه في الجوابِ الصحيحِ : (والذي أنزلَه الله هو دينٌ واحدٌ اتفقَتْ عليه الكتُبُ والرُّسلُ ، وهم متَّفقون في أصولِ الدِّينِ وقواعدِ الشريعةِ ، وإن تَنَوَّعُوا في الشِّرعةِ والمنهاج)[٢٠]، ومِنها تسميتُه لبعضِ أصولِ الدِّينِ، كقولِه : (كلُّ موضعٍ فيه أحدُ أصولِ الدينِ الثلاثةِ وهي التوحيدُ والرُّسلُ والآخرةُ)[٢١]، وقولِه : (وأمَّا الصلاةُ فهي أولُ فرضٍ ، وهي مِن أصولِ الدِّينِ والإيمان)[٢٢]، ومِنها إشارتُه إلى أنَّ شرائعَ الدِّينِ على مراتبَ ، في قولِه : (وكذلك ليس الأمرُ بالتوحيدِ والإيمانِ باللهِ ورسولِه وغيرِ ذلك مِن أصولِ الدينِ الذي أمَرَتْ به الشرائعُ كلُّها وغيرِ ذلك مِمَّا يتضمَّن الأمرَ بالمأموراتِ العظيمةِ، والنهيُ[٢٣] عَن الشِّركِ وقتلِ النفسِ والزِّنا ونحو ذلك مما حرَّمَتْه الشرائعُ كلُّها وما يحصلُ معه فسادٌ عظيم، كالأمرِ بلَعقِ الأصابعِ وإماطةِ الأذى عَن اللُّقمةِ الساقطةِ والنهيِ عن القِرانِ في التَّمرِ ، ولو كان الأمران واجبين . فليس الأمرُ بالإيمانِ باللهِ ورسولِه كالأمرِ بأخذِ الزِّينةِ عِندَ كُلِّ مَسجدٍ والأمرِ بالإنفاقِ على الحاملِ وإيتائِها أجرَها إذا أرضَعَت)[٢٤]، ومِنها قولُه بأنَّ القرآنَ هو مصدرُ أصولِ الدِّينِ وفروعِه ، كقولِه : (إذ المقصودُ هنا أنَّ جعلَ القرآنِ إمامًا يؤتَمُّ به في أصولِ الدينِ وفروعِه هو دينُ الإسلام ، وهو طريقةُ الصحابةِ والتابعين لهم بإحسانٍ وأئمةِ المسلمين)[٢٥]، ومِنها وصفُه لبعضِ كتبِ السَّلفِ بكتبِ أصولِ الدِّينِ ، كقولِه عن الإمامِ أحمدَ : (وأبو بكرٍ الخلال قد طاف البلادَ وجمعَ مِن نصوصِه [يعني نصوصَ أحمدَ] في مسائلِ الفقهِ نحوَ أربعين مجلدًا ، وفاتَه أمورٌ كثيرةٌ ليست في كتبِه ، وأما ما جمَعَه مِن نصوصِه فمِن أصولِ الدينِ مثل كتابِ السنة نحو ثلاثِ مجلدات ...)[٢٦]، ومِنها قولُه بأنَّ السَّلفَ لم يتنازعوا في أصولِ الدِّينِ وإنَّما أجمعوا عليها ، كقولِه : (وكانوا مؤتلفين في أصولِ الدِّينِ لم يتفرَّقوا فيه ، ولم تَظهرْ فيهم البدعُ والأهواءُ الجائرةُ عن الطريقِ)[٢٧]، وقولِه : (فإنَّه ليس بين هؤلاءِ الأئمةِ وأمثالِهم نزاعٌ

١٧ - الاعتصام ٢/٧١٢-٧١٣

١٨ - ولعلَّ ابنَ تيميةَ - رحمه الله - مِن أحسنِ مَن حرَّر ضوابطَ مسألةِ التبديعِ ، وإن كانت متناثرةً في رسائلِه ، وأحيلُ الراغبَ في الاستزادةِ إلى شرحِ الشيخِ يوسفَ الغفَيصِ - وفّقه الله - على بعضِ رسائلِ ابنِ تيميةَ ، فأكثرُ هذا إنَّما حُرِّرَ وضُبِطَ بتحريرِه وضبطِه .
وللفائدةِ : الشيخان الغفيصُ وناصرُ الفهدِ مِن أخبرِ الناسِ بكلامِ ابن تيميةَ وأجمعِهم له .

١٩ - مجموع الفتاوى ٢٣/٣٤٦ ، ونحوه في ١٣/١٢٥.

٢٠ - المنهاج الصحيح ٢/٤٣٨

٢١ - مجموع الفتاوى ١٦/٣٧١

٢٢ - مجموع الفتاوى ١٠/٣٥٦

٢٣ - بالرَّفعِ ، عطفًا له على اسمِ ليسَ لا على معمولِ يتضمن ، وخبرُ ليس آتٍ بعدُ .

٢٤ - مجموع الفتاوى ١٧/٥٨-٥٩

٢٥ - مجموع الفتاوى ١٦/٤٧١-٤٧٢

٢٦ - مجموع الفتاوى ٣٤/١١١-١١٢

٢٧ - بيان تلبيس الجهمية ١/٣٥٦

في أصول الدين)[٢٨]، وقوله : (فأمَّا الأعصارُ الثلاثةُ المفضلةُ فلم يكن فيها بالمدينة النبوية بدعةٌ ظاهرةٌ البتة ، ولا خرج منها بدعةٌ في أصول الدين البتة)[٢٩]، ومنها بيانُه أنَّ الخلاف في الأسماء والأحكام أوَّلُ خلافٍ ظهرَ في الإسلام في أصول الدِّين ، كقوله : (والخلافُ فيه أولُ خلافٍ ظَهَر في الإسلام في مسائل أصول الدين)[٣٠]، ومنها نصُّه على انقسام الدِّين إلى أصولٍ وفروعٍ نصًّا لا أصرحَ منه ، كقوله : (قد بسطنا الكلامَ على ما يتعلَّقُ بهذه القاعدةِ في غيرِ موضع ؛ لتعلُّقِها بأصول الدين وفروعِه)[٣١]، وقوله : (لفظُ الشرع في هذه الأزمنة ثلاثةُ أقسام : أحدها الشرعُ المنزَّلُ ، وهو الكتابُ والسنةُ ، واتِّباعُه واجبٌ ، مَن خرج عنه وَجَبَ قتلُه ، ويدخل فيه أصولُ الدِّين وفروعُه ...)[٣٢]، وقولُه عن الخلافات الفقهية : (فإن الاعتصامَ بالجماعةِ والائتلافَ مِن أصول الدين ، والفرعَ المتنازَع فيه مِن الفروع الخفية)[٣٣].

وأمَّا المواضعُ التي فُهِمَ منها إنكارُ ابن تيمية لتقسيم الدِّين إلى أصولٍ وفروعٍ فلم تكن لتشكِل لولا أنْ قد نُظِرَ إليها بمعزلٍ عَن سياقاتِها ، فإنكارُه للتَّقسيم فيها لم يكن لنفس المصطلح ، وإنَّما لمعانٍ باطلةٍ أُلحِقَت به ، إمَّا بحدِّه بحدودٍ باطلةٍ وإدخال ما ليس منه مِن المسائل فيه ، كإدخال الفلسفات والكلامياتِ في أصول الدِّين ، وإمَّا بقصره على مصادرَ بعضُها لا يستقلُّ بإدراكه كلِّه وبعضُها لا مدخلَ له فيه ، كزعم بعض المتكلمين أنَّ أصولَ الدِّين هي ما مصدرُه العقلُ دونَ الشَّرع وبعكسِها فروعُه ، وجعل تقريره بعلم الكلام دون السَّمع ، وإمَّا بقصره على موردٍ دون غيره ، كقولهم إنَّ أصولَ الدِّين هي العقائدُ والتصوُّراتُ وفروعَه هي العملياتُ[٣٤]، وإمَّا في ترتيب أحكام عليه بلا دليل ، كقول بعضهم بأنَّ أصولَ الدِّين لا يُعذَرُ المخطِّئُ فيها مجتهدًا أو جاهلاً دونَ فروعه ، وغير ذلك ممَّا لا يصحُّ إطلاقُ نسبته إلى أصول الدِّين .

وبهذا يصحُّ القطعُ ببطلان نسبةِ إنكار تقسيم الدِّين إلى أصولٍ وفروعٍ واعتباره بدعةً إلى ابن تيمية ، وقد أكثرتُ مِن النَّقل عن شيخ الإسلام - مع أنَّ هذا ليس موضعَ بسطِ المسألة - لأهميةِ القطعِ ببطلان نسبةِ هذا القول إليه، لئلا يُتَّكأ عليه لتقرير باطلٍ ، فهذه الدعاوى والأقوالُ وإن قال بها قومٌ لسوءِ فهمٍ محضٍ ، أو لمقاصدَ حسنةٍ ، فإنَّ منهم مَن يقولُها لمقاصدَ بدعيةٍ ، فإنَّ منهم مَن يقرِّرُ بطلان تقسيم الدِّين إلى أصولٍ وفروعٍ ليتوصَّلَ به إلى تسويغ الخلاف في مسائل الأصول حملاً لها على مسائل الفروع[٣٥] وإلى إقرار المبتدع على بدعته ، وإلى جعل أصول الدِّين مِن الظَّنيات والمتغيِّرات ، وهذا ما اصطُلِح على تسميته بتمييع الدِّين، وهو يُقرَّرُ باسم نبذ الخلاف والفرقة ، والأمر بالجماعة ، وحقيقتُه تضييعُ معنى الجماعة المأمور بتحقيقه شرعًا . وفي هؤلاء يقولُ ابنُ تيمية : (وبإزاء هؤلاء المكفِّرين بالباطل أقوامٌ لا يعرفون اعتقادَ أهل السنة والجماعة كما يَجب ، أو يعرفون بعضَه ويجهلون بعضَه ، وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونَه ، ولا ينهون عَن البدع المخالفة للكتاب والسنة ، ولا يذمُّون أهلَ البدع ويعاقبونهم ، بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذمًّا مطلقًا ، لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وما يقوله أهلُ البدعة والفرقة، أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يُقرُّ العلماءُ في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع ، وهذه الطريقة قد تغلب على كثيرٍ من المرجئة وبعض المتفقهة والمتصوفة والمتفلسفة ، كما تغلب الأولى [يعني الغلوَّ تكفيرًا] على كثيرٍ من أهل الأهواء والكلام ، وكلا هاتين الطريقتين منحرفةٌ خارجةٌ عن الكتاب والسنة)[٣٦].

هذا ما تيسَّر كتابتُه في تأصيل مسألة التَّبديع ، ولم آتِ فيه إلا على ما تعظُم الحاجةُ إليه في المسائل الآتية ؛ لأنَّ الكتابةَ فيها ليست مقصودةً أصلاً بل تبعًا ، والكلامُ عَنها - مستغرقًا مقالتين - ليس مِن الاستطراد ، بل هو قدرَ الإمكان مختصرٌ .

وسيأتي في المقالات الآتية - إن شاء الله تعالى - تعرُّضٌ لأهمِّ أوجه الخطأ في هذا الباب عندَ الجماعات المعاصرة ، فسيتبعُ هذا الكلامَ - إن شاء الله كلامٌ ، والحمد لله ربِّ العالمين .

٢٨ - مجموع الفتاوى ٢٥٦/٥
٢٩ - مجموع الفتاوى ٣٠٠/٢٠
٣٠ - مجموع الفتاوى ٤٧٩/٧
٣١ - مجموع الفتاوى ١٢٩/٢٢
٣٢ - مجموع الفتاوى ٣٩٥/٣٥
٣٣ - مجموع الفتاوى ٢٥٤/٢٢
٣٤ - وهذا ليس بجامع ولا مانع ، ذلك أنَّ مِن العملياتِ ما هو مِن أجلِّ أصول الدِّين ، فعملُ الجوارح أصلٌ في الدِّين لا يكون مسلِّمًا مَن لم يتلبَّس منه بشيءٍ ، وحدُّه الصلاةُ على الرَّاجح. بل إنَّ توحيدَ العبادةِ عمليٌّ على الحقيقةِ بما فيه مِن أفعال وتروك ، وأمَّا كونُه غيرَ مانع فلأنَّ مِن العقائدِ ما اختلفَ فيه الصحابةُ ، كرؤيته - صلى الله عليه وسلم - لربِّه حين أُعرِجَ به ، وكتعذيب الميِّت في قبره بنياحةِ أهله ، وغير ذلك .
٣٥ - تقدَّمت الإشارةُ إلى أنَّ الفروعَ لا يُطلَق القولُ بأنَّ الخلافَ فيها يسوغ .
٣٦ - مجموع الفتاوى ٤٦٧/١٢

اتفاق سوات

تطبيق للشريعة أم مؤامرة جديدة ؟

حامد بن حسن القحطاني

يوم الاثنين ٢٠٠٩/٢/١٦ أعلنت حكومة إقليم بيشاور عن عقد اتفاق مع الملا صوفي محمد خان أحد قادة حركة تطبيق الشريعة ، التي تطالب بتطبيق الشريعة في وادي سوات، وينص الاتفاق بحسب وسائل الإعلام على تطبيق الشريعة في الإقليم وإزالة كافة القوانين المخالفة للشريعة ، مقابل وقف مقاتلي حركة تطبيق الشريعة استهدافهم للجيش والشرطة الباكستانيين.

وقد لقي الاتفاق اهتماماً محلياً وإقليمياً ودولياً واسعاً ما بين مؤيد للداخل على الصعيد المحلي خاصة وبين معارضين للاتفاق على الصعيدين الإقليمي والدولي.

فقد أعلنت معظم الأحزاب والجماعات في الداخل الباكستاني عن تأييدها للاتفاق الذي سيوقف الحرب على إقليم سوات والتي سببت القتل والتشريد للباكستانيين الذين يرون أنها حرب لخدمة أمريكا ولا مصلحة للباكستانيين فيها .

كما أعلن مقاتلو طالبان باكستان في وادي سوات عن وقف مؤقت لإطلاق النار لانتظار وفاء الحكومة بتعهداتها ، و أبدى الكثير من أهالي الإقليم سعادتهم بالاتفاق الذي سيحقق لهم وقف عمليات الجيش في مناطقهم والتي تسببت في دمار هائل في الإقليم ، حيث قتل الآلاف و دمرت ألوف المنازل كما أجبر أكثر من مليون من سكان الإقليم على الهروب من الإقليم هرباً من جبروت الجيش الباكستاني الذي لا يتورع عن قصف سكان الإقليم بحجة وجود عناصر من طالبان باكستان بينهم ، وقد قام الجيش تبعاً لأوامر أمريكية بقصف تجمعات بشرية للسكان غير المسلحين مما تسبب في مجازر كبيرة راح ضحية بعضها العشرات ، منها على سبيل المثال حادثة استهداف مدرسة راح ضحيتها أكثر من ٨٠ من الطلاب بحجة أنها مدرسة للمتشددين .

ومن جهة أخرى أبدى سكان الإقليم سعادتهم لوسائل الإعلام التي استطلعت آراء السكان بعد الاتفاق ، فعبر الكثيرون عن رغبتهم في تطبيق الشريعة في مناطقهم وأنهم لن يقبلوا بغير تطبيق الشريعة ، خاصة وأنها ستخلصهم من النظام القضائي الفاسد الذي فرضه حكام باكستان في مناطقهم.

أما على الصعيد الإقليمي ، فقد أبدت حكومة كرزاي العميلة خشيتها من الاتفاق لأن وقف الجيش الباكستاني عملياته ضد المجاهدين من شأنه أن يزيد الضغط عليها .
كما أن الكثير من الأطراف الدولية التي تتدخل في الشأن الباكستاني بحكم احتلالها لأفغانستان البلد الجار لباكستان أبدت «قلقها» من الاتفاق :

فقد أبدى المتحدث باسم حلف الناتو (الجهة المحتلة لأفغانستان) جيمس أباثوراي قلق الحلف من أن يؤدي الاتفاق إلى توفير ملاذ آمن «للمتطرفين» في المنطقة .

أما الولايات المتحدة الأمريكية فقد أعلن المبعوث الخاص لأوباما في باكستان وأفغانستان ريتشارد هولبروك بعد لقائه وزير الخارجية الهندي في نيودلهي أن سوات باتت تمثل خطراً يهدد كل من الهند وباكستان وأفغانستان .

و صرح قائلاً : للمرة الأولى منذ ٦٠ عاماً التي مرّت منذ الاستقلال تواجه بلادكم (الهند) وباكستان والولايات المتحدة عدواً يمثل خطراً مباشراً على قيادتنا وعواصمنا وشعوبنا .

كما عبر في مقابلة مع قناة CNN الأمريكية عن قلقه من الاتفاق خشية أن يؤثر على الخطط الصليبية لتجنب الهزيمة المؤكدة للصليبيين في أفغانستان فصرح لهم : إني أشعر بالقلق واعلم أن وزيرة الخارجية (كلينتون) والرئيس(أوباما) قلقون من الاتفاق - الذي أظهرته وسائل الإعلام على أنه هدنة - قد يتحول إلى استسلام .

وفي السياق نفسه صرحت السفارة البريطانية في إسلام أباد بقلقها من الاتفاق .

حركة تطبيق الشريعة في سوات ، لمحة تاريخية :

- كان إقليم سوات إقليماً مستقلاً عن الحكم الباكستاني تطبق فيه الشريعة الإسلامية حتى العام ١٩٧٠ عندما قام الحاكم العسكري للإقليم آنذاك الجنرال يحيى خان بإلحاق الإقليم بباكستان وإلغاء الشريعة الإسلامية فيه ، ومنذ ذلك الوقت وسكان الإقليم يطالبون بعودة الشريعة الإسلامية لتحكم الإقليم ويصرحون برفضهم للقانون العلماني.
- في عام ١٩٨١ انشقّ الملا صوفي محمد خان عن الجماعة الإسلامية في باكستان بعد رفضه اشتراك الجماعة في الانتخابات .
- عام ١٩٩٥ تحرك صوفي محمد مع بعض سكان الإقليم للمطالبة بتطبيق الشريعة في الإقليم ، فتدخلت القوات الباكستانية ضد السكان وقتلت العديد منهم .
- عام ٢٠٠١ وبعد دخول القوات الصليبية إلى أفغانستان تحرك صوفي محمد ومعه ١٠ آلاف من الباكستانيين لنصرة إخوانهم في أفغانستان ، و تشير بعض الروايات إلى مقتل ٣ آلاف منهم وأسر الكثيرين ، ومنهم صوفي محمد الذي نقل إلى معسكر غوانتنامو السيء الصيت ، ثم قبلت القوات الأمريكية الإفراج عنه حيث نقل إلى سجن باغرام (غوانتنامو الأفغاني) ومنه سلم إلى القوات الباكستانية حيث بقي مسجوناً لديها منذ عام ٢٠٠٢ .
- عام ٢٠٠٢ تحرك مولانا فضل الرحمن (وهو صهر صوفي محمد) للمطالبة بتطبيق الشريعة في الإقليم .
- الفترة ٢٠٠٤-٢٠٠٦ توجه مولانا فضل الرحمن للعمل الدعوي لتطبيق الشريعة في الإقليم حيث أنشأ خدمة لذلك حوالي ٣٠ محطة إذاعية اعتبرتها السلطات الباكستانية خارجة عن القانون ، كما شهدت الفترة الكثير من الاشتباكات بين جيش الحكومة والمطالبين بتطبيق الشريعة من سكان الإقليم .
- تموز ٢٠٠٧ ، أعلن مولانا فضل الرحمن تصعيد الجهاد ضد حكومة مشرف على خلفية مجزرة المسجد الأحمر التي راح ضحيتها المئات من طلاب وطالبات المدرسة الملحقة بالمسجد، وأعلن مشرف نشر قوات كبيرة من الجيش في سوات للقضاء على الحركة .
- تشرين الأول ٢٠٠٧ : مولانا فضل الرحمن يؤسس المئات من المحاكم الشرعية في الإقليم والتي قوبلت بترحيب شعبي كبير.
- تشرين الثاني ٢٠٠٧ : الحركة تبسط نفوذها على كامل الإقليم.
- كانون الأول ٢٠٠٧ : معارك شرسة بين المجاهدين وجنود مشرف ، ونزوح حوالي نصف مليون من سكان وادي سوات هرباً من مدفعية الجيش وقصف طائراته .
- نيسان ٢٠٠٨ : عودة الجماعة للسيطرة على الإقليم ، وإطلاق سراح صوفي محمد .
- أيار ٢٠٠٨ : اتفاق لوقف إطلاق النار بين حكومة إقليم بيشاور وحركة تطبيق الشريعة تنص على تطبيق الشريعة في الإقليم وانسحاب الجيش منه مقابل توقف مقاتلي الحركة عن استهداف عناصر الجيش والشرطة .
- بسبب عدم التزام الحكومة بسحب الجيش من الإقليم ، قام مقاتلو الحركة باستهدافه لإجبارهم على الالتزام بالاتفاق .
- حزيران ٢٠٠٨ : أعلنت الحكومة الباكستانية إلغاء الاتفاق، بسبب مزاعمها عن عدم التزام الحركة به ، و تأكيد الكثير من المحللين أن إلغاء الاتفاق كان استجابة لرغبة الولايات المتحدة والناتو .
- شباط ٢٠٠٩ : اتفاق جديد بين الحكومة والحركة على تطبيق الشريعة في الإقليم .

الظروف المحيطة بالاتفاق :

١- الصعود الكبير لقوة المجاهدين في أفغانستان ، والخشية المعلنة للصليبيين من إعلانهم الهزيمة قبل شتاء ٢٠١٠ ، وفشل كبير من قبل الصليبيين وعميلهم كرزاي في إحداث أي شق داخل حركة طالبان ، أو بين الطالبان والقاعدة تؤمل عليه الولايات المتحدة كثيراً في وقف هزائمها ، بعد سيل الهزائم العسكرية التي تعرضوا لها .
٢- تصاعد ملحوظ لقوة المجاهدين في المناطق الباكستانية المحاذية للحدود الأفغانية وخاصة في مناطق سوات ووزيرستان، تلك القوة التي كبدت الصليبيين وعملاءهم الأفغان والباكستان الكثير من الخسائر وألجأت الصليبيين إلى وقف خط الإمدادات الرئيس لقواتهم في أفغانستان عن طريق باكستان بسبب هجمات المجاهدين على خطوط الإمداد وغنمهم للكثير من الأسلحة والمعدات ، مما أجبرهم على البحث عن خطوط إمداد بديلة سيكون أهمها الخط الطويل جداً المار بروسيا - كازاخستان -طاجكستان .
٣- استلام أوباما منصبه في البيت الأبيض ، مما يعني البدء في تنفيذ استراتيجيته المعلنة في «الحرب على الإرهاب» والتي تقوم على تركيز الجهد الأمريكي على قتال المجاهدين في أفغانستان على اعتبار أنها الجبهة الرئيسة في «الحرب على الإرهاب» ، وبالتالي التركيز على المناطق الباكستانية المحاذية كونها تشكل القاعدة الخلفية و السند الرئيس للمجاهدين في أفغانستان .
كما إن عماد خطة أوباما يقوم على تقليد النموذج العراقي في إدارة الحرب مع المجاهدين وهو أن الحرب العسكرية لا تجدي

في حين أن المؤامرات والعمل على شق صفوف المجاهدين عن طريق الوعود الكاذبة والإشاعات هي السبيل لإشغال المجاهدين بأنفسهم ، ولملمة صفوفهم فيما يتفرغ الأمريكان للقضاء عليهم بأيديهم أو بأيدي من يتم إغواؤهم سواء بالوعود الكاذبة أو بالمال والمناصب ، أو حتى بمجرد خداعهم بالأخبار الكاذبة بتشويه سمعة المجاهدين فينساقون وراء تلك الإشاعات نحو قتال إخوانهم .

٤- التقارب الهندي الأمريكي الكبير ، والتهديدات الهندية لباكستان بعد عملية بومباي مما أجبر الجيش الباكستاني على الاستجابة لتلك التهديدات بنقل جزء من الجيش من الحدود الغربية لوضعها في حال استعداد على الحدود الشرقية مع الهند .

٥- مأزق كبير تعاني منه حكومة زرداري العميلة ، خاصة الأزمة الاقتصادية الخانقة والمديونية العالية لدول الصليب التي تضخ الملايين من الدولارات كديون للحكومة الباكستانية وتشترط عليها أن لا توجه تلك الديون للإعمار والتنمية وإنما فقط لقتال الباكستانيين وتهجيرهم من ديارهم ونصرة القوات المحتلة لأفغانستان ، هذا الأمر يجعل المجتمع الباكستاني في حالة معيشية صعبة وخاصة المهجرين منهم من مناطق القتال في سوات ، والذين يزيد عددهم عن المليون نسمة يتوزعون في المدن الباكستانية الكبرى وفي المناطق القريبة من أقاليمهم .

اتفاق الشريعة لماذا ؟

جندي باكستاني يحرس القوات الصليبية

كل من عرف الحكومة الباكستانية، عرف عداءها الشديد للشريعة والمجاهدين ، حيث نقل هولبروك عن زرداري وصفه المسلحين بعد الاتفاق مباشرة أنهم « قتلة ، وقطاع طرق ، ويشكلون خطراً على باكستان والولايات المتحدة» ، فلا يُتوقع إذن من حكومة زرداري تغير في نظرتهم للشريعة أو للحركة المطالبة بتطبيقها ، فالاتفاق ليس سوى مناورة من قبل الحكومة الباكستانية لكسب عدة أمور :

١- كسب الوقت : حيث أن إيقاف حركة تطبيق الشريعة لإطلاق النار سيسمح للجيش بتجميع صفوفه و تقوية مواقعه ريثما تبدأ الجولة الجديدة من الحرب على الحركة ، خاصة أن تلك الجولة تعول عليها حكومة زرداري كثيراً ، كونها ستترافق مع الزيادة الكبيرة للقوات الصليبية المنتشرة على الجهة الثانية من الحدود ، حيث تعهد أوباما بنقل أكثر من ٣٠ ألف من الجنود المنتشرين في العراق لوضعهم في ساحات القتال ضد الطالبان في أفغانستان ، كما أن الجيش سيكون أقوى في الجولة القادمة بسبب الدعم الأمريكي الكبير الذي سيتلقاه كضرورة لنجاح خطته على الطرف الآخر من الحدود بحيث يقوى الطرف الباكستاني من الكماشة التي يخطط الأمريكان لإطباقها على مناطق القبائل .

وقد عبر زرداري بوضوح عن هذا المخطط بتطمينه للأمريكان «أن الاتفاق مؤقت حتى تستقر الأوضاع» ، حسبما نقل عنه هولبروك في مقابلته مع CNN .

بالإضافة إلى أن وقف العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش في سوات ، وكذلك النشاط العسكري لمقاتلي الحركة، سيتلوه مباشرة انطلاق مرحلة أخرى من العمل من قبل الحكومة الباكستانية ، وهو العمل المخابراتي عن طريق تنشيط الجواسيس وزرع العملاء في المنطقة من أجل التجسس على مواقع المجاهدين وجمع المعلومات عنهم لاستخدامها في ضبط القصف الذي تقوم به الطائرات الأمريكية التي ثبت أنها تنطلق من قواعد باكستانية وليس من أفغانستان كما كان يعلن سابقاً ، لتقوم تلك الطائرات بقصف تلك المواقع وقتل المجاهدين والمتعاونين معهم ، ثم يأتي دور حكومة زرداري لتندد بالأمر وتعلن تمسكها باتفاق وقف إطلاق النار ، وأنها غير مسؤولة عن هجمات الأمريكان ولا تستطيع إيقافها .

كما أن تلك المعلومات والمسح الشامل للمنطقة و المقاتلين، سيفيد كثيراً الجيش الباكستاني عندما تنطلق حملته القادمة في الوادي .

٢- كسب الدعم : بالنظر إلى القلق الشديد الذي أبداه الأمريكان والناتو من الاتفاق مع المجاهدين لأنهم يعتبرونه بالضرورة سيقوي القتال في الداخل الأفغاني ، فإن هذا الاتفاق من قبل الحكومة سيكون بمثابة ابتزاز للأمريكان والناتو لتقديم المزيد من الدعم للحكومة الباكستانية والجيش الباكستاني، حيث يتعلل الأخير بعدم قدرته على حسم القتال مع الحركة عسكرياً ، لذلك يتطلب تقويته حتى يتمكن من القضاء على الحركة ، ويزيد من قوة هذا التفسير ، أن الاتفاق صادف حدثين مهمين هما ، المباحثات التي يجريها المبعوث الأمريكي هولبروك في الهند مع المسؤولين هناك بشأن المنطقة ، مما يعني زيادة قوة التحالف بين الهند وأمريكا والموجه للضغط على الكثير من الأطراف على رأسها باكستان .

كما إنه قد ينبه الهند إلى أن الاتفاق موجه ضدها كون أي تهدئة في داخل باكستان ستعني نقل جزء من الجيش هناك إلى الجبهة الشرقية .

والحدث الثاني هو زيارة رئيس أركان الجيش الباكستاني للولايات المتحدة ، والتي سينجم عنها بالتأكيد الإعلان عن

سلة جديدة من المساعدات للجيش الباكستاني والمزيد من التعاون بين الطرفين .

٣- شق الصفوف وتحييد حركة تطبيق الشريعة : من أجل التفرغ لقتال طالبان باكستان والقاعدة في مناطق وزيرستان ، حيث إن استمر وقف إطلاق النار -لبعض الوقت- في وادي سوات فإن الجيش الباكستاني يستطيع نقل كامل ثقله لقتال المجاهدين في وزيرستان والذين يشكلون الخطر الأكبر على قوات الناتو والأمريكان في أفغانستان بالنظر إلى أن مجاهدي سوات ثقلهم الأكبر موجه ضد الحكومة الباكستانية . كما إن الاتفاق قد يؤدي إلى شق صفوف حركة تطبيق الشريعة بين المؤيدين لوقف إطلاق النار والمتمسكين بالقتال ضد الجيش الباكستاني ، فقد تحدثت صحيفة The Nation الباكستانية عن أمل الحكومة الباكستانية في شق صفوف المقاتلين في سوات من خلال الاتفاق ، ويؤمل زرداري والصليبيون كثيراً على ذلك لإضعاف المجاهدين ، خاصة أن من وقع الاتفاق هو صوفي محمد خان بينما الطرف الذي يتولى قتال الحكومة فعلياً هو الطرف الذي يقوده مولانا فضل الرحمن ، وبعد الاتفاق توجه صوفي محمد مباشرة إلى الإقليم لإقناع المقاتلين بقبول الاتفاق ، وقاد مسيرة جماهيرية في الإقليم قدرت بـ ٢٠ ألف شخص للمطالبة بإحلال السلام في الإقليم .

٤- تهدئة الداخل الباكستاني : حيث يشهد الشارع الباكستاني حالة من الغليان ، على وقع الحالة الاقتصادية المتردية ، والفساد المستشري في أجهزة الحكومة ، ورفض الشعب الباكستاني لمنهج التبعية لأمريكا الذي تتبعه حكومة زرداري ، وكذلك الاتفاقيات مع الولايات المتحدة الموجهة ضد إخوانهم في باكستان وأفغانستان ، وكذلك غضبهم من سكوت الحكومة عن قيام الطائرات الأمريكية بقتل مئات الباكستانيين بحجة وجود مسلحي القاعدة بينهم ، وكذلك العمليات التي يقوم بها الجيش الباكستاني ضد إخوانهم في سوات ومناطق القبائل خدمة للحملة الصليبية .

٥- التأثير على الداخل الأفغاني : حيث تعب كرزاي من دعوات الحوار مع الطالبان التي لاقت دائماً إما التجاهل غالباً أو الرفض أحياناً ، لذا فإن اتفاقاً كهذا يجري في جوارهم ، يأمل منه أن يحرك بعض القادة أو زعماء القبائل لعقد اتفاقات مماثلة مع حكومة كرزاي مقابل الحصول على وعود مماثلة ، مما يؤدي إلى فتح خرق في الجبهة الطالبانية التي أظهرت حتى الآن قوة كبيرة في وجه محاولات كثيرة للشق قامت بها أطراف متنوعة من الأمريكان إلى عملائهم في أفغانستان أو البعيدين عنها كآل سعود ، بل تسربت بعض الأخبار عن قيام بعض الأطراف المحسوبة على حركات إسلامية لشق الصف الطالباني تحت مزاعم التوسط بين الأفغان .

وتبقى لدينا بعض الأحداث ننتظر وقوعها كي نتأكد تماماً من حقيقة الاتفاق أهمها موقف أمريكا منه ، فإن كانت هي التي ألغت الاتفاق السابق في أيار ٢٠٠٨ ، فلماذا قد تقبل به الآن إن لم يكن جزءاً من مخططها المزمع تنفيذه في باكستان ؟

فإن بقيت وجهة نظر أمريكا وحلفاءها تحوم حول «القلق» من الاتفاق ، فهذا يعني قطعاً توافق أمريكي - باكستاني على جدوى الاتفاق ، بل يمكن اعتباره عندئذ تكتيكاً أمريكياً ماكراً في سياق استراتيجيتها لوقف الهزيمة في أفغانستان .

خاتمة :

آثار القصف الصليبي على بيوت المسلمين

قال صلى الله عليه وسلم : «لا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين» .

لذا فإن على حركة تطبيق الشريعة أن تعي دروس الماضي جيداً لاسيما وأن الدرس الأخير على نقض الحكومة للعهود لم يمض عليه سنة واحدة (أيار ٢٠٠٨) ، وليس من الصعب عليهم الآن وفي أي وقت أرادوا أن يعلنوا إلغاء الاتفاقية تحت أي مزاعم ويستأنفوا القتال ضد المجاهدين هناك في وقت ربما لا يكونون مستعدين له .

كما أنهم يجب أن يعوا أن معركتهم ومعركة إخوانهم الآخرين داخل باكستان أو في أفغانستان هي معركة واحدة ضد عدو واحد هو القوات الصليبية وعملاؤها في المنطقة .

ولا يغرنهم خروج الجيش الباكستاني من مناطقهم ، فهو لن يخرج - إن خرج - إلا لقتال إخوانهم في المناطق الأخرى بعد أن يكون أمن ظهره من الانكشاف ، فإن نجح في القضاء على المجاهدين في بقية المناطق فهو ولا شك عائد إلى سوات ليدمرها من جديد بعد أن يكون تفرغ لقتالهم فيحشد لهم كل ما لديه هو و حلفاؤه .

فالحذر الحذر .. فليس كل ما يلمع ذهباً .

وليعلموا أن الشريعة لا يمكن أن تستقر في بلد يحكمه طواغيت مرتدون.

استراتيجيات باراك أوباما

الكاتب : خالد عبد الرحمن النوبي

بانتقال مفاتيح البيت الأبيض من جورج بوش الابن إلى باراك أوباما، ينتقل معه إرث أيديولوجي ميّز الولايات المتحدة ولا يمكن محوه بسهولة، وخيار سياسي أورث عداوات ومشكلات عويصة مع الحلفاء قبل الأعداء، واتجاه استراتيجي مدمّر أثمر خسائر معنوية ومادية هائلة فضلاً عن الفشل في تحقيق الغايات والأهداف، مع كل ما رافق ذلك من تعثر وارتباك في استخدام الوسائل والأدوات.

والخلاصة، أن بوش يسلّم أمريكا أكثر خوفاً وفقراً وقلقاً مما كان استلمها عليه من سلفه بيل كلينتون. وعلى أوباما، (وهذا هو التحدي الاستراتيجي الكبير)، أن يُعيد الثقة أولاً إلى الأمريكيين بأنفسهم وبلادهم ونظامهم السياسي، وأن يستعيد ثقة بقية العالم ثانياً، بحسن إدارة أمريكا للنظام الدولي وتوازناته وتحدياته المختلفة.

لذلك، فإن مهمتين أساسيتين تنتظران أوباما في الأربع سنوات المقبلة، ولا تقل إحداهما خطورة عن الثانية:

الأولى: إصلاح ما يمكن إصلاحه من البنية الاقتصادية والمالية المترهلة، كي يتمكن من احتواء آثار الأزمة المالية غير المسبوقة، قبل البدء بحملته الانتخابية بعد ثلاث سنوات تمهيداً للفوز بولاية رئاسية ثانية.

والثانية: الذهاب أبعد مما وضعته إدارة بوش كشعار أساسي وهو الحرب على الإرهاب، لتلاقي الإدارة الجديدة ما ترى أنها الجذور والأسباب والمكامن الحقيقية للإرهاب، معنوياً ومادياً، وسياسياً وعسكرياً.

لكن قبل محاولة كشف الخطوط العريضة لاستراتيجية أوباما في المدى المنظور، لا بد من تلمس قوى الضغط المختلفة والتأثيرات الفردية والجماعية والتي تتناحر وتتنافر وتتعارض وتتقاطع وتتفاعل فيما بينها لتخرج السياسة الخارجية من بين تلك العوامل بنسختها شبه النهائية القابلة للتعديل وفق الحاجة.

من يصنع السياسة؟

إن الدستور الأمريكي لا يذكر شيئاً عن السياسة الخارجية، لكنه يقرّر أنه لدى الرئيس صلاحية عقد المعاهدات مع البلدان الأخرى وتعيين السفراء في الخارج، بالتوافق مع الكونغرس، إضافة إلى استقبال السفراء. والرئيس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة الأمر الذي يتيح له قدراً واسعاً من السيطرة على علاقات الولايات المتحدة مع العالم.

كما أن استخدام صلاحياته في أجزاء مختلفة من الإدارة، يمنحه هامشاً إضافياً، فضلاً عن أن العلاقات البيروقراطية مع حكومات العالم تمنح فكرة معينة عن كيفية صنع السياسة الخارجية.

رسمياً، يقود الرئيس السفينة، وللكونغرس دور الرقابة، وأحياناً يقوم بدور مباشر، مع أدوار محدودة للولايات والحكومات المحلية. لكن بعض أهم الفاعلين في صياغة السياسة الخارجية، يقبعون خارج الحكومة، وهم: مراكز التفكير، والمنظمات غير الحكومية وأبرزها جماعات الضغط أو اللوبيات المصلحية والعرقية والدينية، ومن أهمها اللوبي اليهودي، بل أكثرها تأثيراً في السياسة الخارجية، وفي صياغة استراتيجيات القوة الأولى في العالم. وتضم تلك الجهات والمنظمات غالباً رؤساء سابقين وموظفين سابقين رفيعي المستوى، وهم لديهم مصالح أو معارف أو تأثيرات في الشؤون العالمية، والتي يمكن أن تمتد لأكثر من مدة ولاية أي رئيس.

أما مراكز القوى والنفوذ داخل الإدارة نفسها، فتختلف من عهد إلى آخر، وبحسب قوة الرئيس أو ضعفه، خبرته أو جهله، ذكائه أو غبائه، وكذلك نوع المساعدين والمستشارين الذين يحيطون به إحاطة السوار بالمعصم. فقد قيل الكثير عن هيمنة نائب الرئيس جورج بوش الأب على رئيسه رونالد ريغان، العديم الخبرة في الشؤون العالمية، بالقدر نفسه الذي يقال فيه -أقل من ذلك أو أكثر- عن تأثير ديك تشيني على بوش الابن، وللأسباب عينها. بل يستكشف المطلعون خطّ نفوذ موازياً يمتد من تشيني إلى وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد

وعدد من مساعديه، وعبر مستشارة الأمن القومي سابقاً كوندوليسا رايس وصولاً إلى نواب وزير الخارجية ومساعديه ما جعل كولن باول في وضع لا يُحسد عليه على الإطلاق، قبل أن تحط رايس رحالها في وزارة الخارجية بدلاً منه. وهذا الخط الذي مثّل بدرجة أو بأخرى أيديولوجيات المحافظين الجدد، هو الذي تعرض إلى هزائم وفضائح طوال السنوات الثماني السالفة، ما أفسح المجال لبروز باراك أوباما كظاهرة سياسية استثنائية.

لقد صعد أوباما بسرعة، من بين صفوف الحزب الديمقراطي، متغلباً على هيلاري كلينتون بعد صراع محموم لأشهر طويلة، ومستحوذاً على تأييد رجالات الحزب ورموزه الكبار، فارضاً نفسه على الطبقة السياسية، ومستقطباً لحراك شعبي غير مسبوق، بواسطة خطابة بارعة، ووعود معسولة، ومستفيداً من ضيق مسترسل من بوش ورهطه.

لكن الغريب في فريق الإدارة الجديدة، أن أوباما الذي جاء بالسيناتور جوزف بايدن ليملأ ثغراته ويغطي سوءاته في السياسة الخارجية، وليكون كما كان تشيني لبوش الابن نائباً له ومشيراً عليه بتوجهاته الاستراتيجية، يأتي بخصيمته اللدودة، هيلاري كلينتون وزيرة للخارجية، والتي تعتبر مواقفها امتداداً لمواقف بوش إلى حد كبير، وهو ما يتناقض مع نصائح مستشار أوباما الأول زبغنيو بريجينسكي الاستراتيجي المحنك، والذي يرى أن مواقف كلينتون تقليدية في حين أن الموقف يحتاج إلى التجديد والإبداع. كما أبقى أوباما على بعض أركان الإدارة الجمهورية المهزومة مثل وزير الدفاع روبرت غيتس، أما رئيس موظفي البيت الأبيض راحام عمانوئيل، الناشط المعروف في أروقة الكونغرس، فهو رجل إسرائيل في البيت الأبيض حسب تعبير الصحافة الإسرائيلية. وإلى جانب ذلك يضم فريقه ليبراليين تدخليين كانوا موظفين سابقين في إدارة كلينتون، مثل وزيرة الخارجية السابقة مادلين أولبرايت، ووزير الدفاع السابق وليام بيري، والسيناتور السابق سام نان، وهم يعتقدون بأن للقوة العسكرية الأمريكية دوراً مركزياً في أمن العالم، ولا يخجلون من استخدام القوة الناعمة والقوة الخشنة، ومن ضمنها القوة العسكرية للتعامل مع المخاطر غير الفورية. وبعض أبرز مستشاريه، مثل سوزان رايس وأنتوني ليك (مستشار الأمن القومي أيام كلينتون) يؤيدون استخدام القوة العسكرية لأسباب إنسانية. وهكذا، يحاط بايدن بشخصيات قوية تقترب منه في الطرح وتتباعد عنه، علماً بأنه أيد بوش في شنه الحرب على العراق عام ٢٠٠٣، ثم ارتد عليه، مؤيداً فتح الحوار مع إيران وسوريا، وإنهاء أزمة العراق بتقسيمه بين الأكراد والسنة والشيعة.

الإدارة الجديدة إذاً هي تجمع أضداد إلى درجة كبيرة، يقصد منه أوباما تعدد الأصوات داخل الفريق الحاكم، بل تضارب الأيديولوجيات والمصالح، أثناء إدارته لأعقد الأزمات التي تعصف بأمريكا، على أمل أن يتمكن أخيراً من اتخاذ القرار النهائي، بأقل قدر من الانجراف لجهة دون أخرى.

عناصر استراتيجية

لكن هل يعني هذا أن أوباما لا يملك استراتيجية حقيقية، وإنما هي جملة من الشعارات الفضفاضة ذات الطابع الانتخابي المؤقت؟

يمكن تلخيص العناوين العامة للتغيرات التي صرّح أوباما باعتمادها أثناء الحملة الانتخابية، كما يلي:

- سحب القوات الأمريكية من العراق خلال ١٦ شهراً، وترددت أقاويل عن الإبقاء على قوات مقاتلة في العراق لمواجهة القاعدة أو نشر قوات خارج العراق وبالقرب منه للتدخل عند الحاجة.
- تعزيز الحرب على الجهاد عن طريق إرسال قوات إضافية إلى أفغانستان وتشديد الضغوط على باكستان، مع احتمال التدخل مباشرة في منطقة القبائل.
- فتح قنوات الحوار مع إيران وسوريا وكوبا، وعدم اللجوء إلى القوة العسكرية ضد إيران إلا بعد استنفاد كل الوسائل السلمية والعقوبات الاقتصادية والسياسية. وفي السياق، وعد إسرائيل بتقديم مظلة حماية ضد الأسلحة النووية لمنعها من توجيه ضربة لإيران دون إذن مسبق. وقد أبلغ اللوبي الصهيوني في أمريكا أنه سيفعل أي شيء لمنع إيران من صنع سلاح نووي، وأن الخيار العسكري سيبقى على الطاولة.
- وقف استخدام وسائل التعذيب ضد المعتقلين على الظن والشبهة، وإقفال معتقل غوانتنامو الذي أساء إلى أمريكا، وأضعف الحملة على الإرهاب.
- التعامل مع الإرهاب دون مبالغة أو إفراط، وإيلاء الاهتمام بالقدر نفسه للتحديات الأخرى والمخاطر العالمية، مثل الفقر والأوبئة والتغير المناخي.
- الحد من انتشار أسلحة الدمار الشامل، والسعي لجعل العالم خالياً من الأسلحة النووية.
- اعتماد التوافق بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي في اتخاذ القرارات، كما كان الحال في الحرب الباردة وخلال تسعينات القرن العشرين، بعد سقوط الاتحاد السوفييتي.

ورغم أن الأولوية الأولى ستكون لمعالجة الوضع الاقتصادي، فإن أوباما وعد خلال الحملة الانتخابية بزيادة الإنفاق العسكري، وتوسيع حجم قوات المارينز، والاعتناء بالقوات الخاصة، وتوسيع قدرة الأجهزة الاستخبارية، والحفاظ على مئات القواعد المنتشرة في أنحاء الأرض، وتعزيز قوات الحلفاء ومنها توسيع حلف الأطلسي وضم أوكرانيا وجورجيا إليه. وفي خطاب ألقاه أوباما في جامعة شيكاغو دعا إلى «بناء جيش القرن الواحد والعشرين للبقاء في وضع الهجوم من جيبوتي إلى قندهار». كما أبدى اهتمامه بتعزيز قدرات التدخل العسكري، عن طريق زيادة عدد الطائرات، ورفع قدرات الحرب الإلكترونية

وبناء مزيد من طائرات الشحن c-١٧، وطائرات التزويد بالوقود في الجو، وتقوية القوات البحرية لحماية إمدادات النفط.
ورغم أن أوباما أعلن أنه ضد فرض الديمقراطية في الخارج، إلا أنه اقترح برنامجاً للمساعدة في إعادة بناء الدول والترويج للديمقراطية، وبناء جهاز مدني عسكري، مهمته إنقاذ الدول الفاشلة في إفريقيا وآسيا والشرق الأوسط، وإعادة بنائها.

وينوي أوباما مضاعفة المساعدات الخارجية إلى ٥٠ مليار دولار سنوياً، عام ٢٠١٢، والاستثمار في التنمية والبنية التحتية للدول النامية، والعمل على بنية صحية عالمية عام ٢٠٢٠، لمكافحة الأمراض المعدية، مع بناء صندوق تعليمي عالمي بقيمة ملياري دولار، وما يسمى بفرق تنمية متجولة مكونة من الجيش والبنتاغون ووزارة الخارجية ووصندوق الدعم الأمريكي، لتنسيق عمليات مكافحة الإرهاب وبناء الدول وعمليات ما بعد انتهاء الصراع. وسينشئ أيضاً هيئة أخرى من منظمات خارج نطاق البنتاغون أي من وزارة الخارجية والأمن الوطني والعدل والمالية.

وتكشف مستشارة أوباما للشؤون الخارجية، والتي أصبحت بعد فوزه مندوبة أمريكا في الأمم المتحدة، سوزان رايس، أن أمريكا ستقدم المساعدة لدول ضعيفة ولم تصل بعد إلى مرحلة الفشل. «وبخلاف السعودية ومصر اللذين يقاومان بقوة التغيير السياسي، فإن بلداً مثل نيجيريا يمكن أن يتقبل مبدأ الديمقراطية، كما يمكن لأمريكا أن تدعم قيام المؤسسات الديمقراطية فيه: برلمان يحاسب السلطة، وصحافة حرة، ومؤسسات العدالة المدنية. وحتى في مصر وروسيا يمكن دعم المنشقين على النظام واتخاذ خطوات أخرى». وكانت رايس وليك قد كتبا عام ٢٠٠٦ في الواشنطن بوست، يطلبان قصفاً بالطائرات أو حصاراً بحرياً أو تدخلاً عسكرياً مباشراً في السودان لوقف القتل في إقليم دارفور.

آراء بريجينسكي:

في نيسان/أبريل ٢٠٠٧، أعلن أوباما في كلمة له أمام مجلس شيكاغو للشؤون العالمية أن «أمريكا يجب أن تقود العالم». وهو صدى على ما يبدو لما كتبه زبغنيو بريجينسكي عام ٢٠٠٥، تحت عنوان «الاختيار، الهيمنة العالمية أو القيادة العالمية».
في هذا الكتاب، يقول بريجينسكي: «إن الهيمنة الأمريكية العالمية هي واقع حياة. لا أحد بما فيهم أمريكا، يملك الخيار. بل ستعرّض أمريكا وجودها للخطر إن هي فعلت كما فعلت الصين قبل ٥٠٠ عام، حين قررت الانعزال عن العالم. وبالعكس، فإن أمريكا ليست قادرة على عزل نفسها عن الفوضى العالمية التي يمكن أن تنشب سريعاً عقب انسحابها من الميدان».
ويؤكد بريجينسكي أن الهيمنة هي «مرحلة تاريخية مؤقتة وقصيرة، وإن الهيمنة الأمريكية ستنحسر يوماً ما، لكن ليس قريباً. لكن على الأمريكيين أن يصيغوا شكل هيمنتهم، والخيارات الحقيقية هي كيف يجب على أمريكا أن تمارس هيمنتها، ومع من يجب أن تشارك تلك الهيمنة، ولتحقيق أي أهداف نهائية؟ وما هو الغرض الرئيسي للقوة الأمريكية غير المسبوقة؟ إن الجواب سوف يحدد ما إذا كان التوافق الدولي سيشرّع الهيمنة الأمريكية ويعززها أم على التفوق الأمريكي أن يثبت نفسه اعتماداً على القوة بشكل واسع».

ويقرّ بريجينسكي بأن المنظمات غير الحكومية (ومنها القاعدة) ازدادت قوتها في عصر العولمة، لذلك يجب أن يكون أمن الشعب الأمريكي هو الهدف الأول للسياسة الأمريكية العالمية، لكن الأمن القومي وحده هو أمر مستحيل من دون دعم عالمي. ويقول: «خرجت أمريكا منتصرة بعد الحرب الباردة، أي قوة عظمى إيجابية، لكن بعد عقد من الزمن باتت قوة عظمى سلبية. إذ بعد غزو العراق، حدث تناقض محير، فلم تكن المصداقية العسكرية بأعلى مما كانت عليه، لكن المصداقية السياسية لم تكن أدنى مما أصبحت عليه، بسبب كذبة أسلحة الدمار الشامل. وإن الأكثر أهمية الآن، هو كيف تحدّد أمريكا لنفسها ولبقية العالم، الأهداف المركزية لهيمنتها، وعلى هذا التعريف أن يصيغ التحدي الاستراتيجي الذي تواجهه أمريكا، وضد من تريد تحريك العالم. وبقدر ما تمارس أمريكا هيمتها في العالم بالوضوح والقوة الأخلاقية، وبقدر ما تتفهم حاجات وتطلعات الآخرين، فإنها تتمكن من توفير الأمن وتحقيق الأهداف».

أما سبب انحيازه إلى باراك أوباما فلأنه يرى فيه فرصة نادرة لتحويل الحماسة العارمة التي رافقت حملته الانتخابية إلى سياسات ملموسة، ولأن الموقف يتطلب شخصاً مثله قادراً على التغيير والتجديد.

وفي مواجهة القضايا الساخنة التي تنتظر الإدارة الجديدة، يطالب بريجينسكي على صعيد السلام الإسرائيلي الفلسطيني بإطلاق مبادرة لكسر الجمود، على أن ترتكز على أربع مبادئ:
- التخلي الفلسطيني عن حق العودة.
- الالتزام الإسرائيلي بتقاسم القدس مع الفلسطينيين.
- اعتماد خط الحدود لعام ١٩٦٧ حدوداً نهائية.
- قيام دولة فلسطينية منزوعة السلاح.

ومن جهة أخرى ذات صلة، أيد بريجينسكي انتشار قوات حلف الأطلسي في فلسطين حيث سيكون لها دور أساسي في طمأنة الإسرائيليين، على أن لا يكون هدفها مكافحة الإرهاب.
وبالنسبة للعراق، قال بريجينسكي في شهادة أمام الكونغرس: «ما هو مطلوب بإلحاح استحداث إطار سياسي لحل كل المشكلات الناجمة عن احتلال العراق، إنهاء الاحتلال وإقامة حوار إقليمي أمني يعزز الأهداف الاستراتيجية، وهو ما يتطلب وقتاً والتزاماً أمريكياً حقيقياً، ولذلك:
- يجب على الولايات المتحدة إعادة التأكيد بصراحة ودون غموض عزمها على مغادرة العراق في فترة زمنية معقولة.
- أن تقوم بمباحثات مع الزعماء العراقيين كي يحددوا معاً زمن الانسحاب، وأن يعلن تاريخ الانسحاب بقرار جماعي. وفي الأثناء، تتجنب القوات الأمريكية أي تصعيد في عملياتها العسكرية. وأن تكون المباحثات مع الزعماء العراقيين الحقيقيين خارج المنطقة الخضراء المحمية الأمريكية.
- دعوة كل جيران العراق وبعض الدول الإسلامية مثل مصر والمغرب والجزائر وباكستان للدخول في حوار حول أفضل السبل لتحقيق الاستقرار في العراق بالتزامن مع الانسحاب الأمريكي.

واعتبر بريجينسكي أن إيران وسوريا لم يقدما مساعدة للأمريكيين في العراق لأنهما لم يكونا يرغبان بمساندة قوة احتلال تتحول إلى قوة إقليمية دائمة.

إن حرب العراق برأيه «هي حدث تاريخي واستراتيجي وأخلاقي ضار جرى تحت افتراضات خاطئة، وهو ما يقوض الشرعية العالمية للولايات المتحدة، ويدمر مصداقيتها الأخلاقية، كما أن التناقض والازدواجية والتعجرف الإمبراطوري يثير الاضطراب الإقليمي. وإن استمرار التورط الأمريكي في صراع دموي طويل الأمد في العراق سيؤدي إلى صراع مباشر مع إيران ومعظم العالم الإسلامي».
أما إيران، فدعا بريجينسكي إلى التعامل معها بصبر استراتيجي، منوهاً بدور ممكن للصين في إيران شبيه بدورها في احتواء خطر كوريا الشمالية، كما يمكن أن يكون لروسيا دور في هذا المجال، لأنه ليس للصين ولروسيا مصلحة في نشوب صراع مع إيران.

ودحض بريجينسكي ما رأى أنها «الرواية الأسطورية الجاهزة لشن الحرب على إيران، كما كانت أسلحة الدمار الشامل في العراق، حتى إن حرب العراق أعيد تعريفها بعد سقوط الذرائع، لتصبح (الصراع الأيديولوجي الحاسم) في زمننا كما كان الصراع منتصف القرن العشرين مع النازية ثم مع الستالينية، وهذا نوع من التبسيطية والديماغوجية».

ويقلل بريجينسكي من الخطر الإيراني فيقول: «إن إيران ولو حققت بعض النفوذ الإقليمي بسبب الحرب في أفغانستان والعراق، إلا أنها منقسمة سياسياً، وضعيفة اقتصادياً وعسكرياً، وإن الاحتجاج بأن أمريكا راهناً في حرب في المنطقة مع أوسع تهديد إسلامي، حيث تقع إيران في القلب، هو ترويج لنبوءة ذاتية. لقد اعتمدت السياسة الخارجية في الشرق الأوسط، على هكذا شعارات، مثل (الإطار الاستراتيجي الجديد) و(الشرق الأوسط الجديد)، وهو ما يثير العداء ويعمق خطر صدام طويل بين الولايات المتحدة والعالم الإسلامي. وإن الدبلوماسية الخارجية تجاه إيران تذكر بسياسة جون فوستر دالاس في الخمسينات إزاء زعماء الصين (القطيعة)».
وأكد أخيراً «أن إسرائيل ستضرّ بعلاقاتها مع الولايات المتحدة إذا هي أصرت على استخدام نفوذ اللوبي في واشنطن من أجل توجيه ضربة لإيران». وقال: «لا أعتقد أن أمريكا ستهاجم إيران، وإذا هاجمتها فستكون العواقب كارثية. وإذا هاجمت

إسرائيل إيران فلن تتمكن من إصابة كل منشآتها النووية، وأفضل ما يمكن أن تحققه هو تأخير المشروع النووي الإيراني وتصليب الاتجاه المتشدد في إيران. وعلى هذا، فالهجوم ليس خياراً حقيقياً لا للولايات المتحدة ولا لإسرائيل، ولن تكون الضربة فعالة من دون إذن أمريكا».

قوة ذكية

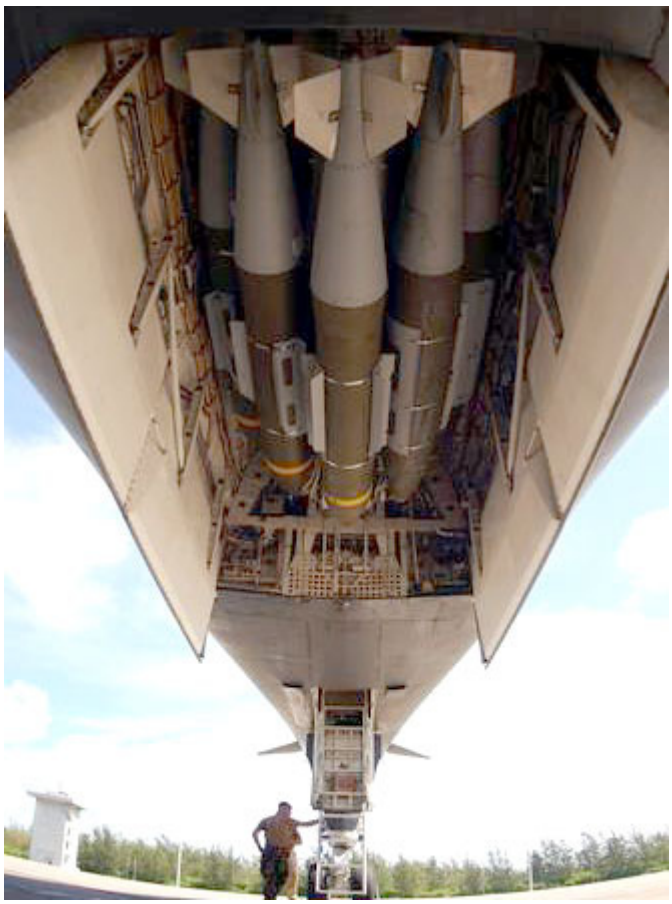

إذاً كيف يمكن بعد ذلك تحديد الاستراتيجية المقبلة للرئيس الجديد؟ هل هي انتقال جذري نحو أقصى اليسار؟ أم هو تلطيف لخيارات اليمين والتقرب من الوسط؟

إن أفضل وصف لها يمكن استنباطه من التقرير الاستراتيجي الذي أصدره مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية في عام ٢٠٠٧، تحت عنوان «أمريكا أذكى وأكثر أمناً»، حيث يدعو التقرير الرئيس الجديد إلى اعتماد استراتيجية جديدة تقوم على المزج بين القوة الخشنة والقوة الناعمة، أو ما يسمى بالقوة الذكية.

«إن القوة الخشنة تقضي باستخدام الجزرة والعصا مع الدول لتحقيق المرغوب منها. وتتمثل القوة تاريخياً بعدد السكان ومساحة الأرض والثروات الطبيعية والقدرة الاقتصادية والقوة العسكرية والاستقرار الاجتماعي. وما تزال الولايات المتحدة تملك الاقتصاد الأكبر، ولها أكثر من ثلث الشركات الكبرى الـ٥٠٠، ولا توجد قوة عالمية أخرى كي تنافسها، لكن القوة الخشنة لأمريكا لا تترجم دائماً إلى نفوذ. وإن فعالية أي قوة ترتبط أولاً بالإطار الذي توجد فيه، ومصادر القوة تتغير مع الوقت. ورغم التطورات التكنولوجية التي جعلت الأسلحة أكثر دقة وأكثر تدميراً، لكن استخدام القوة العسكرية يزيد من الكلفة السياسية والاجتماعية. وإذا كانت تكنولوجيا الاتصالات الحديثة قد خفضت من ضبابية الحرب لكنها بالمقابل رفعت من الوعي السياسي. وهذه الاتجاهات الحديثة جعلت القوة الخشنة أقل ملموسية وأثرها أقل فعالية. وإذا كان ميكافيللي قد قال مرة: إنه من الأفضل أن تكون مهاباً من أن تكون محبوباً، لكن في عصر المعلومات من الأفضل أن تكون الاثنين معاً.

أما القوة الناعمة، فهي القدرة على اجتذاب الناس إلى جانب أمريكا دون إجبار، وتقع المشروعية في قلب القوة الناعمة، فإذا اعتقد شعب أو أمة ما أن الأهداف الأمريكية مشروعة، فمن المرجح إقناعهم لاتباع القيادة الأمريكية دون استخدام تهديدات أو رشاوى. وهذه المشروعية تخفف حجم المعارضة والتكاليف لدى استخدام القوة الخشنة، عندما يقتضي الوضع ذلك».

ويضيف التقرير: «إن طبيعة الصراع تغيرت اليوم، بما فيه حرب العراق والصراع ضد القاعدة. ففي الصراع التقليدي، عندما ينهزم العدو عسكرياً، فمن المرجح أن ينحاز إلى السلم، لكن كثيراً من المنظمات التي تحاربها أمريكا لا تسيطر على أي أرض وتملك موجودات قليلة، وتنتج قادة جدداً كلما قتل قائد منها، لذلك فإن النصر التقليدي لم يعد ممكناً تحديده.

إن الجيوش أدوات ملائمة جداً لإلحاق الهزيمة بالدول، لكنها غالباً أدوات سيئة لمكافحة الأفكار».

ويتوصل الخبراء إلى التأكيد بأن «سمعة أمريكا وموقعها ونفوذها في العالم، تؤثر على أمن الأمريكيين ورفاهيتهم، وإن تدهور مكانة أمريكا في العالم، يزيد من صعوبة تحقيق الأهداف. فالنظرة المتدنية تجاه أمريكا غير مسبوقة في التاريخ. وليس متأخراً قلب المسار، حتى في العالم العربي والإسلامي. وهذا يتطلب استراتيجية توازن بين استخدام القوة الخشنة والقوة الناعمة، ما يجعل كل هذه العناصر في مقاربة ذكية للتحديات الرئيسية التي تواجه أمريكا والمجتمع الدولي».

إن حرب العراق حسب التقرير هي عامل رئيسي في تدهور مكانة أمريكا، لكن ثمة عوامل خمسة أسهمت بمجموعها في إنتاج الحالة المزرية وهي:

- موقع أمريكا كقوة عظمى وحيدة بعد الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتي، إذ أدى الحدث بحد ذاته إلى تراجع مكانة أمريكا، لا سيما بين الحلفاء الذين لم يعودوا يتطلعون إليها كقوة ردع وحماية.
- ردة الفعل على العولمة التي بدّلت أموراً كثيرة في الاقتصاد العالمي، وباتت بنظر العالم أمريكا الراعي الأول لعملية انتشار العولمة وأصبحت استطراداً الطرف الملام على كل الكوارث التي أصابت قطاعات واسعة.
- تخلي أمريكا عن المؤسسات والاتفاقيات ذات التأييد العالمي الواسع، ومن دون اقتراح بدائل مقنعة، مثل برتوكول كيوتو للتغير المناخي ومعاهدة المحكمة الجنائية الدولية، ومعاهدة

حقوق الطفل، ومعاهدة حظر استخدام الألغام.

- الرد الأهوج على هجمات ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، عبر أساليب غير قانونية مثل تصنيف المقاتلين الأعداء والسجون السرية وأساليب الاعتقال والتعذيب، وفضائح غوانتنامو وأبو غريب.

- عدم الكفاءة، حيث ظل العالم ينظر إلى أمريكا خلال الحرب الباردة، وما بعدها، على أنها ذات كفاءة تقنية عالية، وأنه بمقدورها حلّ أي مشكلة تقنية، لكن الفشل الذريع في مواجهة آثار إعصار كاترينا، والفشل الذي سبقه في إعادة النظام وتعمير العراق، أشاع الانطباع المختلف بأن أمريكا فقدت شيئاً من ميزتها على هذا الصعيد.

ويرى التقرير أخيراً أن على أمريكا التركيز على خمس مجالات حساسة:

- تجديد التحالفات والشراكات والمؤسسات التي تخدم المصالح في القرن الحالي.
- تعزيز دور السياسة الخارجية في مواءمة مصالحها مع تطلعات الناس في كل مكان من العالم.
- اجتذاب الشعوب الأخرى إلى جانب أمريكا من خلال تعزيز العلاقات معها ولا سيما الشباب منهم.
- الاستمرار في التعامل بإيجابية مع الاقتصاد العالمي بما هو ضرورة للنمو والرفاهية لكل الناس في الداخل والخارج.
- أمن الطاقة والتغير المناخي يتطلبان قيادة أمريكية لتأسيس وفاق عالمي وابتكار حلول للمشكلات.

الخلاصة

إن باراك أوباما تسلق سلّم السلطة، بناء على تململ شعبي من حرب العراق خاصة، لكنه فوجئ أثناء حملته الانتخابية بانفجار الأزمة المالية الهائلة، وهو ما سيؤثر بالتأكيد على أولوياته الاستراتيجية، في الولاية الأولى. ويعني ذلك، أن شعارات حملته الانتخابية، فضلاً عن عناوين الاستراتيجية الجديدة، هي ذات طابع انفعالي، غير مستندة إلى رؤية أيديولوجية محكمة، على غرار أيديولوجيا المحافظين الجدد. وإن ما تحمله رؤاه التجديدية من محاولة استعادة مكانة أمريكا في العالم، إنما تتسم بعمومية تحتمل استخدام كل الأساليب والأدوات، ولا تنحصر بمجالات القوة الخشنة أي القوة العسكرية حصراً لتحقيق الأهداف.

ولعل ما يبوح به جمع المتناقضات في تشكيلة الإدارة الجديدة، أن أوباما ليس بصدد برنامج واضح المعالم والمراحل في مواجهة القاعدة، ذلك أن انتقال ثقل المعركة إلى أفغانستان حدث في الأشهر الأخيرة من ولاية بوش، كما تمكنت الإدارة الراحلة أخيراً من انتزاع التوقيع العراقي على المعاهدة الأمنية والتي تحدد أفق الانسحاب بعد ٣ سنوات، ما يعني تفريغ فكرة أوباما بالانسحاب بعد ١٦ شهراً من معناها السياسي والميداني، لا سيما وأن الانسحاب الفوري والكامل يحتاج أكثر من ذلك، بسبب ضخامة الترتيبات اللوجيستية المطلوب إنجازها قبل سحب الوحدات. أما تعزيز القدرة القتالية لأمريكا حول كابل، ومحاولة إنشاء صحوات أفغانية، فهو تكرار لسيناريو العراق بعد استلام الجنرال ديفيد باتريوس لقيادة المنطقة الوسطى. ولن يتمكن أوباما من إحداث خرق ما في المسار الفلسطيني الإسرائيلي، بوجود هيلاري كلينتون في وزارة الخارجية وهي المنقادة تماماً لتوجيهات اللوبي اليهودي في واشنطن، كما أن الموقف من إيران سيشوبه الغموض لفترة. وبما أن بوش لم يتمكن خلال ولايته الثانية من تسويق استراتيجية الضربة الماحقة، بسبب اعتراض الجيش والمارينز والأجهزة الاستخبارية، فلن يكون أوباما قادراً في المدى المنظور على كسب التأييد الشعبي لحرب جديدة، وهو جاء على صهوة الغضب من حرب العراق، وما زال متورطاً في غمار حرب تتأجج بقوة في أفغانستان وباكستان. والأهم من ذلك كله، أن الأزمة المالية تعرقل كل مشاريع التوسع في أي حرب أو خوض مغامرات جديدة، بل باتت هي العنوان الرئيسي للتحديات الكثيرة التي تواجه أوباما، والتي لا تنفع معها بلاغة الخطاب ولا كاريزما الرئيس.

قائمة الـ 85

ردة فعل على قرار التوحد

معاذ الخوستي

ارتبط اسم (النظام السعودي) بالجهاد في بعض الثغور, وبطبيعة الحال لم يكن هذا الارتباط بالجهاد هو للمشاركة فيه أو المساهمة الفاعلة في وصول المجاهدين للنصر على أعدائهم , و لكن التوصيف الحقيقي الواقعي له هو أنه يقوم بتوظيف الجهود الشعبية المباركة من أبناء بلاد الحرمين في خدمة مصالحه قدر الإمكان , فإن لم يمكن ذلك استطاع - بسهولة - إيجاد الأعذار المناسبة لإيقاف هذه الجهود و تجميدها .

و قد يبدو للناظر أن هذا أمر طبيعي و لا غضاضة فيه , فالعاقل هو من لا يفعل ما يُضر بمصالحه , و هذه النظرة - في الحقيقة - هي في غاية السذاجة إذا علمنا أن هذه المصالح عائدة لصالح أشخاص و ذوات معينين و هي ضد المصلحة العامة للمجتمع المسلم و للأمة جمعاء , و بالتالي فالعمل لأجل تلك المصالح أقل ما يقال عنه هو خيانة للمجتمع و للأمة ؛ لأنهم سيطروا على قراراتها و مقدراتها فكان واجباً العمل لصالح المجتمع و ليس العمل للمصالح الشخصية .

و لذلك لما كان إسقاط الاتحاد السوفييتي - عندما احتلت قواته أفغانستان - هو ذو أهمية أمريكية فهو عندئذ ذو أهمية سعودية , لأن النظام السعودي كما يعلم الجميع , قد ارتبط في فترة ماضية بالإمبراطورية البريطانية و مع انتهاء الحرب العالمية الثانية , خرجت الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى على حساب (المملكة المتحدة) - و هو ما يفسر تسمية النظام بـ (المملكة العربية) - فورثت أمريكا مناطق النفوذ البريطانية و منها (النظام السعودي) و يتبين هذا بالمراسلات المنشورة و المشهورة بين رؤساء البلدين منذ ذلك الوقت و إلى اليوم .

إذا عُلم هذا لم يكن غريباً أن يعلن النظام الصليبي الأمريكي أن النظام السعودي (حليف قوي) و (صديق حميم) و بالتالي؛ لم يكن مستغرباً التسهيل الشديد للجهود الشعبية في نصرة المجاهدين في أفغانستان بالمال و النفوس , و لم يكن مستغرباً - أيضاً - أن يتم منع تلك الجهود لما حلت القوات الأمريكية بدل القوات السوفييتية بل و ملاحقة أي جهد و تجريمه غاية الإجرام .

و لن يعدم - النظام - من الفتاوى المؤيدة لكل ما يفعله (ولي الأمر) و الذي كما هو واضح لكل منصف و عاقل أنه لا يسعى إلا لمصلحته الذاتية و التي تكمن في البقاء على كرسي الرئاسة , و لا يسعى لمصلحة الإسلام و المسلمين إلا بقدر ما يصب في المصلحة الأولى .

هذه الإضاءة السريعة تكشف لنا جزءاً مما يسميه المجاهدون الذين اكتووا بشيء من لهيبه , بـ (الدور السعودي القذر) في أفغانستان و غيرها , إذ استغلت الجهود الشعبية لمراقبة ذوي التوجه الجهادي و جُعلت بعض هذه الجهود لتغطية بعض الأنشطة السعودية التي كانت تسعى في إفشال أن يحقق الجهاد ثمرة يقطفها المجاهدون كما كان يريد الأمريكيون .

و عند معرفة هذه الخلفية التاريخية المهمة يتبين لنا شيء من أسرار القوائم الأربع التي أصدرها النظام السعودي, و ذلك خلال (سبع سنوات) فقط , بعد غزو جيوش الحملة الصليبية لأفغانستان .

بدأت هذه القوائم من (١٩) مطلوباً و انتهت حتى هذه اللحظة إلى (٨٥), بحيث يكون مجموع المطلوبين ١٦٦ شخصاً , يعتبرهم النظام السعودي (إرهابيين) و من أصحاب (الفكر الضال) و الفكر (التكفيري المنحرف) و أنهم يشكلون خطورة أمنية لزعزعة أمن المجتمع و استقرار الدولة .

لمحة سريعة عن القوائم السابقة

• في يوم ١٤٢٤/٣/٦ صدرت قائمة تضم ١٩ مطلوب أمنياً كلهم تقريباً ممن سبق لهم المشاركة في أفغانستان في جهاد الشيوعيين , مما دفع بعض المطلوبين كالشيخ يوسف العييري - رحمه الله - و علي الفقعسي - فك الله أسره -

بإصدار بيانات تكذيب للتهم التي وُجّهت إليهم. وتبيان أن هذه القائمة إنما صدرت لتصفية المجاهدين العائدين من أفغانستان تلبية للمطالب الصليبية العالمية , خصوصاً و أن البيان جاء إثر مطاردة لبعض الأشخاص في إحدى السيارات , ثم بعد ذلك بساعات يصدر هذا العدد الكبير من الأسماء مع أن بعضهم لا يعرف بعضاً ! .

ضابط سعودي مشارك في الحملة الصليبية على المسلمين

و يلاحظ في مصطلحات و ألفاظ البيان الذي صدر من وزارة الداخلية السعودية أن هؤلاء هم (إرهابيون) عازمون (على القيام بأعمال تخريبية كبيرة) و (أعمال إرهابية مدمرة) - على حد تعبير البيان - و أن هؤلاء يشكلون (خطورة أمنية).
و قد تم تخصيص رقم للإبلاغ عنهم , و قد جاء في لقاء مع وزير الداخلية السعودي بعد صدور البيان أن هناك مكافأة لمن يدل على أحد المطلوبين لا تقل عن (٢٠٠ ألف - ٣٠٠ ألف ريال سعودي) و أن أي معلومة تفيد التحقيق لها مكافأة لا تقل عن (٤٠ ألف - ٥٠ ألف ريال سعودي) .
و الجدير بالذكر أن البيان لم يطالب هؤلاء المطلوبين لتسليم أنفسهم بل اكتفى بضرورة الإبلاغ عنهم من المواطنين و المقيمين .

• و في يوم ١٤٢٤/١٠/١٢ أي بعد قرابة السبعة أشهر من القائمة الأولى صدرت قائمة الـ (٢٦) و قد ضمت ٦ مطلوبين من القائمة السابقة ممن لم يستطع النظام السعودي القضاء أو القبض عليهم .
و قد كان البيان هذه المرة يحمل قدراً من الثقة و الاعتزاز بالقوة و الإنجاز الذي تحققه أجهزة الحكومة مما جعل البيان يدعو المطلوبين في البداية إلى (تسليم أنفسهم إلى الجهات الأمنية) , و نص البيان على أن من تثبت إدانته (فسوف يعامل وفقا لما تقضي به أحكام شريعتنا) و وصفها البيان بـ (الإسلامية السمحة).
و قد تم إدراج المكافآت في نفس البيان - بخلاف القائمة السابقة - و تصل إلى سبعة ملايين عند إحباط ما أسماه البيان بـ (عملية إرهابية) , و ٥ ملايين عندما يؤدي البلاغ لتفكيك (خلية إرهابية) و مليون ريال سعودي على رأس كل مطلوب من القائمة .

• في يوم ١٤٢٦/٥/٢١ صدرت قائمة الـ (٣٦) و تحوي ١٥ شخصاً يوجدون داخل الأراضي السعودية و البقية الـ ٢١ هم خارجها, و الجدير بالذكر أن بعض المطلوبين في القائمة السابقة لم يضافوا إلى هذه القائمة مع أنهم لا زالوا أحراراً و على قيد الحياة .
و قد كان البيان بأسلوب جديد و يحوي مصطلحات مستحدثة و دقيقة للغاية, يوحي للمطلع أن الأمر قد تعدى من كون المطلوب أمنياً يشكل خطورة على النظام , إلى كون مُصدر القائمة يريد تحقيق أهداف أخرى .
فقد تحول الأمر من كونهم مجرد (إرهابيين) و (مطلوبين أمنياً) إلى كونهم: (فئة ضالة) و أنهم أصبحوا مجرد (أداة لتشويه الإسلام) و هدف هذه الفئة الضالة هو العبث (بأمن البلد الحرام وانتهاك حرمات الآمنين) منطلقين من «أفكار منحرفة» و بالتالي فقد (أوقعهم الله في شر أعمالهم ... و رد الله كيدهم في نحورهم و تهاوت أوكارهم الواحد تلو الآخر) على حسب زعم البيان .
و قد دعاهم البيان لتسليم أنفسهم و قام بالتذكير بالمكافآت المغرية لمن يدلي بمعلومة عنهم .

• في يوم ١٤٣٠/٢/٧ أصدرت الحكومة السعودية قائمة تضم (٨٥) مطلوباً أمنياً كلهم خارج الأراضي السعودية .
و قد كان بين القائمتين بيانات عديدة يعلن فيها النظام السعودي القبض على أشخاص ينتمون لـ (الفكر الضال) بلغت الأعداد في آخر بيان أكثر من ٧٠٠ شخص تم إلقاء القبض عليهم .

و لوحظ في بيان إعلان القائمة الأخيرة أن النظام السعودي لخص منجزاته قبل الإعلان عن هذا العدد الضخم , في إشارة إلى أن النظام السعودي يريد زحزحة الأنظار عن هذه الأعداد التي تتزايد بعد كل فترة , و ليبعد عن نفسه الحرج من سبب تزايد المنضمين لركب (الفئة الضالة) مع كل هذه الحرب العسكرية و الإعلامية و الفكرية , حيث أشار إلى أن (المجتمع السعودي المسلم) قد صار مدركاً لحقيقة أفكار هؤلاء «المفسدين في الأرض» و «المحاربين لله و رسوله» على حد وصف البيان .
مستدلاً بوجود هؤلاء المطلوبين خارج (الأرض الطاهرة) ,

و كونها كذلك لخلوها من يساعد أو يتعاطف مع أصحاب الفكر «التكفيري المنحرف» .
و بعد أن أكد البيان أن الصورة واضحة للمجتمع المسلم و لا تخفى عليه حقيقة هذه الأفكار الضالة , و رجع البيان للإجابة على السؤال الذي يدور في أذهان كثير من الناس عن سبب استمرار هذه الأفكار الضالة التكفيرية المنحرفة مع اتضاحها «لكل ذي لب» ! و سبب محاولة هؤلاء المطلوبين «النيل من وطنهم و أهلهم» .
ليكون الجواب أن السبب هو في استماعهم و تأثرهم بـ «رموز الفتنة» و التي حددها وزير الداخلية السعودي في لقاء بمناسبة خروج القائمة الـ (٣٦) بأن الشيخين عبد الله عزام و أيمن الظواهري هما الأب الروحي لـ (الفئة الضالة) .

الشيخ المجاهد / أسامة بن لادن حفظه الله

وقال البيان أن رموز الفتنة يستغلون (العاطفة الدينية لأبناء هذا البلد) لتصب في (نهجهم الخياني) ليكونوا بذلك أعداء للعقيدة (السمحاء) و لسنة النبي - صلى الله عليه و سلم - و أنهم أيضاً جعلوا (أبناء الوطن في أيدي السماسرة) ليقتلوا في مناطق (الصراع و الفتنة) و مناطق الصراع التي يقصدها البيان و يصفها بالفتنة , هي مناطق الصراع بين الصليبية العالمية متمثلة في أمريكا و حلفائها و بين أهل الإسلام الذين يمثلهم أبناؤهم المجاهدون في العراق و أفغانستان .

و ذكر البيان نماذج لما أسماهم بـ (المغرر بهم) و أنهم سلموا أنفسهم و عادوا لحياتهم الطبيعية .

و يلاحظ بوضوح في هذا البيان المرارة التي يشعر بها النظام السعودي جراء عدم قدرته على القضاء على هؤلاء , و الذين يتكاثرون بشكل عجيب , فمع كل ما بذله النظام من ترغيب و ترهيب و تجفيف و غير ذلك من إجراءات , إلا أن (الفكر الضال - المنحرف - التكفيري - الإرهابي ..) لا زال في نمو و تكاثر !.

فلم يكن مستغرباً أن يصب كاتب البيان جام غضبه عليهم و يصفهم بأبشع الأوصاف و بشكل لم يرد في البيانات السابقة كما رأينا في قوله:
فهؤلاء جعل الواحد منهم نفسه : ١- «أداة في أيدي أعداء الملة والوطن «. ٢- «لا يملك من أمره شيئاً «. ٣- «في انتظار ما يوحي إليه به شياطين الإنس ليقدم على عمل دنيء ينال به من أهله ووطنه».
فتكرار معاني من مثل (أعداء الملة) , و (محاربون لله و رسوله) , و (شياطين الإنس) , و غيرها تدل على مدى العجز و الحيرة و الغضب الشديد من عدم قدرة النظام على السيطرة على هؤلاء ! مع تسخيره لكل وسائل الإعلام و رجال الدين الرسميين و غيرهم في محاربة هؤلاء .

قائمة الـ (٨٥)

نستطيع القول بأن القائمة لا تعدو كونها أحد أمرين :
١- رد فعل سريع من قِبل نائب وزير الداخلية السعودي الوضيع / محمد بن نايف تجاه خروج الإصدار المرئي : من هنا نبدأ و في الأقصى نلتقي , و إعلان توحد تنظيم القاعدة في جزيرة العرب .
٢- أنه مخطط مسبق لجعل كل من يخرج للجهاد في العراق و أفغانستان مطلوباً يستحق الخبر عن مكان تواجده بما يؤدي للقبض عليه : مليون ريال سعودي ! و ذلك لمنع المدد الجهادي المتصاعد و الذي لا زال شوكة في حلق أمريكا لا تستطيع فعل أي شيء حياله فكانت هذه القائمة استجابة للتوجيهات الأمريكية .

و عند التأمل .. نجد تحقق هذين الأمرين بالفعل , فهو رد فعل غاضب و سريع , و لذلك رأينا كيف صب كاتب البيان حمم غضبه بألفاظ غريبة , و مما يدل على ذلك أيضاً أن الصور التي بثت لأمير القاعدة في الجزيرة أبي بصير و المسؤول العسكري أبي هريرة , هي صور مقتبسة من الإصدار الذي بثته مؤسسة الملاحم الجناح الإعلامي لتنظيم القاعدة في جزيرة العرب , مما يدل على أن النظام السعودي لم يستطع الصبر ليتواصل مع الجانب اليمني و الذي يمتلك صوراً لأبي بصير و أبي هريرة لكونهما كانا سجينين عنده , بالإضافة أيضاً إلى أن بعض العائدين من غوانتنامو كانوا متواجدين عند أهلهم قبيل

أيام فقط من إعلان القائمة .

فهذه الأمور السابقة دلت على أن النظام السعودي هو - حتى الآن - لا زال في خانة (رد الفعل) و أن نفير المجاهدين من غوانتنامو عجّل بالمخطط المسبق الذي يعد له النظام لمنع المجاهدين من النفير لأراضي الجهاد كالعراق و أفغانستان و الشيشان و الصومال و غيرها .
و هذا واضح من تهويل القضية و تدويلها حتى يصبح كل من ذهب للجهاد مطلوباً أمنياً للأمن السعودي و بذلك يفكر المجاهد بهذا قبل أن يخطو أي خطوة .
كما أنه استغل امتعاض الناس و خجلهم من ورود أسماء أبنائهم على قوائم المطلوبين السابقة , و بالتالي يكون هذا وسيلة ضغط قوية على الأسر لمنع ابنهم من الخروج للجهاد نهائياً .

أهداف القائمة

كما رأينا .. فإن الهدف من إصدار قائمة المطلوبين الأخيرة لم يعد مختصاً بالشؤون العسكرية و الأمنية , و الدلالات على هذا كثيرة سبق الإشارة إلى بعضها , و لعل أبرزها هو أن غالبية هؤلاء هم في العراق و أفغانستان - كما صرح بذلك المتحدث الرسمي للوزارة - , و بالتالي يظهر جلياً أن المستهدف بهذه القائمة أشياء أخرى , ليس منها المجاهدون المطلوبون , بل المستهدفون هم :

أولاً : المجتمع السعودي المسلم :
يتضح هذا لكل مراقب .. فأول كلمات كاتب البيان هو ذكره للمجتمع السعودي , مريداً بذلك أن يضع المستمع في صفه تلقائياً , لأن العقلاء جميعاً من المجتمع هم في صف كاتب البيان , و أما من خالفهم فهم ليسوا من العقلاء بل تشملهم عدة أوصاف سبق ذكرها .
و يريد بهذا إيصال رسالة ملخصها : أننا مع إصدارنا لهذه القائمة الكبيرة من أسماء الإرهابيين , فليس معنى هذا هو أننا لم نحقق شيئاً خلال حربنا على الإرهاب , بل إننا ربحنا رأي المجتمع و أنه يقف في صفنا , مستدلاً على ذلك بأن هؤلاء الإرهابيين كلهم في الخارج .
و هذا الاستدلال في الحقيقة هو هروب من سؤال محرج للنظام السعودي و هو : ما السبب في كون هؤلاء مطلوبين للنظام مع أن أكثرهم خرجوا للجهاد ضد الصليبيين في العراق و أفغانستان و منذ زمن بعيد و لا علاقة لهم بأية عمليات عسكرية داخل الأراضي (السعودية) ؟؟
و أيضاً .. فالمراقب للشأن (السعودي) الداخلي يجد أن هناك امتعاضاً من قبل الأسر السعودية من كون ابنهم مطلوباً لوزارة الداخلية , حتى إن بعض الآباء يقول لابنه : اذهب لأي مكان و قاتل فيه كما تشاء , و لكن لا تخرج صورتك في قائمة المطلوبين !!

و هذا ناشئ من التضييق الذي تعاني منه الأسرة من مراقبة مستمرة و نحو ذلك , بالإضافة إلى ما يتعرض له أقرباء المجاهد من حرج وظيفي كبير .
و هذا الاستهداف له مقاصد عديدة منها :
أ- الحرب على المنبع الرئيسي للمجاهدين و هم الأسر المسلمة و التي تعيش تحت حكم النظام السعودي , و التي كانت و لا تزال من أهم منابع المدد البشري الجهادي المتزايد كما يلاحظ جلياً في العراق و أفغانستان و سيلاحظ في الصومال و اليمن بشكل ظاهر في الأيام القادمة .
فهذا التضييق و هذا الاستهداف الواضح للمجاهدين من لا علاقة لهم بأي عمل عسكري داخل الأراضي (السعودية) و منها وضعهم في قوائم المطلوبين , يراد منه أن يمنع الآباء أبناءهم من الخروج للجهاد نهائياً و أن يكونوا هم أحرص على ذلك من النظام نفسه .
و ما وَضْعُ أسماء بعض الشهداء في خارج الأراضي السعودية إلا تأكيد على هذا , و إعلان لحرب شرسة على كل من له علاقة بالجهاد و المجاهدين و لو كان هذا الجهاد ضد أعتى أعداء الإسلام و المسلمين من الصليبيين المحتلين .
ب- تجريم كل مساعدة للمجاهدين من مساعدات مالية و عينية و نحوها , و بالتالي محاولة القضاء على مصدر مهم من مصادر التبرعات للمجاهدين , فكل تاجر يدعم الجهاد في العراق أو أفغانستان أو الصومال أو اليمن و غيرها من الثغور, سيسبب له هذا حرجاً كبيراً باعتباره متعاوناً مع أصحاب «الفكر الضال» و «الفكر التكفيري المنحرف» .

و بهذا بعد أن كان المحققون يجدون حرجاً في القبض على من تبرع للمجاهدين بمبلغ من المال يدعم به المجاهدين ضد الصليبيين , لما يشكله هذا من وقوف من قبل المحقق و لو كان معنوياً في صف الحملة الصليبية , فإنهم بهذا الإعلان لن يجدوا أي حرج في إيقاع أقصى العقوبات على هؤلاء لأنهم يقفون في صف «الفئة الضالة»!

ثانياً : المجتمع الدولي :
بعد أن تفاخر النظام السعودي أمام العالم بإنجازاته ضد الإرهاب , خشي مع ظهور الثلة المجاهدة في اليمن أن يفضحوا زيف انتصاراته , فسارع بهذا الإعلان للقائمة بأن الخطر لا يزال موجوداً , و أنه مع كل هذه الانتصارات لا زال هناك بعض (من لا يزال مصراً على غيه) و بالتالي يخفف هذا وقع صدمة عودة العمليات المتوقعة لإخراج المشركين من جزيرة العرب .
كما أن إعلان وجود أخطار و عناصر إرهابية موجودة , يسبب دعماً لمكانة النظام في المجتمع الدولي , و يجعل له ورقة ضغط مهمة و حساسة أمام الحكومات الصليبية , كما فعلت مع بريطانيا في قضية (صفقة اليمامة).
ثالثاً : الرأي العام الداخلي :
فمعَ ما يسمى بالإصلاحات الجديدة و التي فرضتها الولايات المتحدة الأمريكية على الحكومة هناك , لم يكن باستطاعة

النظام تطبيقها فوراً , لما فيها من مصادمة لثوابت الدين و التي نشأ عليها المجتمع , و بالتالي فلم يكن هناك من حل سوى التدريج و خداع العلماء و أهل الرأي و الفكر في البلد . فلقد استغل النظام حربه على المجاهدين داخل (الأراضي السعودية) - كما رأينا ملابساتها في القائمة الأولى - لحرب الدين و خلخلة الثوابت بهدوء و بشكل متصاعد , و لو لم يكن هناك مجاهدون لن يعدم النظام طرقاً أخرى لتطبيق هذه الضغوطات و التي كانت موجودة من قبل أحداث سبتمبر كما هو معلوم .

و لذلك فهذه القائمة الجديدة يراد منها كسر الإرادة الدينية الموجودة في المجتمع ككل , و خير شاهد على هذا هو مخاطبته للمجتمع بـ (السعودي المسلم) مع أنه دائماً يكتفي بالسعودي و الوطن لتكريس الوطنية التي يسعى جاهداً لفرضها على أهل بلاد الحرمين , و هو بفعله هذا في بداية البيان يريد أن لا يثير شكوك المجتمع حول استهدافه لكل المجاهدين في كل مكان بهذه القائمة .

لقد فتحت كافة المجالات أمام أصحاب الاتجاه «اللا ديني» بشكل لا يفهم منه إلا أن النظام يريد تحقيق الأوامر الأمريكية و الصليبية في إزالة منبع مهم من منابع الإرهاب العالمي , و هو تدين المجتمع المسلم داخل بلاد الحرمين , و هو ما يعرفه النظام جيداً و لذلك نص عليه في البيان زاعماً أن رموز الفتنة يستغلون تدين أهل البلاد , و بالتالي فمن الطبيعي أن يسعى النظام لإزالة هذا التدين ليخلو الجو للتحالف الصليبي و ذلك بمساعدة الحليف و الصديق القوي : النظام السعودي .

دور الإعلام الجهادي

إذاً الحرب التي أعلنها النظام هي حرب إعلامية بالدرجة الأولى, ليزج المجتمع المسلم فيها لمقاصد سبق بيان بعضها .

و يلاحظ من خلال العرض السابق للقوائم القديمة , أن البيانات كانت تتطور بشكل ملحوظ في نوعية الخطاب و الألفاظ و المصطلحات المستعملة , في دليل واضح على أن النظام يعتمد في حربه على المجاهدين بشكل أولي على الإعلام .. و مما سبق يتبين لنا أمور مهمة أبرزها ما يلي :

١- الحرب التي أعلنها النظام على المجاهدين , هي لا تستهدف بشكل من الأشكال من خرجت صورهم فقط , بل تستهدف بشكل أولي من خاطبه البيان بقوله في أول كلامه (المجتمع السعودي المسلم) .

٢- النظام السعودي لا زال في خانة (ردة الفعل) و ليس باستطاعته المسارعة إلى الفعل أو ما يسميه بـ (الضربات الاستباقية) كما كان سابقاً , و لذلك فهو يعتمد خلال حربه بشكل أساسي على أمرين : ١- الإعلام. ٢- المال. و لا يخفى أثره و خطره .

٣- استهداف المجتمع المسلم في بلاد الحرمين هو لحرمان المجاهدين من مصدر مهم من المصادر البشرية و المالية للمجاهدين .

٤- وجود ثغرات كبيرة في هذه الحرب الإعلامية من أهمها: مطاردة النظام السعودي للمجاهدين المقاتلين للتحالف الصليبي و ممن لا علاقة لهم بأي أعمال داخلية , و أيضاً : الأعداد الكبيرة المتزايدة في هذه القوائم الأمنية مما يثير أسئلة كثيرة عند العقلاء , و أيضاً : خروج بعض العائدين من غوانتنامو في هذه القائمة و تركهم الزوجة و الأولاد و الراتب الشهري المقدم من النظام السعودي لهم مجاناً خلف ظهورهم و توجههم إلى أرض الجهاد , مما يشكك في مصداقية اعتناق هؤلاء لمجرد «فكر منحرف» مع أنهم خرجوا من برنامج المناصحة المشهور , فكيف لا يستطيع البرنامج المعد بدقة , القضاء على «فكر تكفيري» ! و غير ذلك من الأمور التي تتبين للفطناء .

٥- استغلال النظام لرهبة المجتمع من هذه القوائم و حالة الخجل و الخوف التي تسود أفراده عند خروج أسماء أقربائهم , مما يشكل - كنتيجة طبيعية - كره لأبنائهم المجاهدين لأجل هذا الأمر و الحيلولة بين من أراد من الباقين النفير للجهاد .

هذا العرض الموجز هو - في الحقيقة - مرتكزات عمل الإعلام الجهادي و الذي ينبغي أن تكون جهوده منصبة على هذه القضايا الرئيسية حتى يحقق أثراً و ينتصر في معركته .. فلا غرابة أن نقول : إن الحرب هي معكم أنتم يا أسود الإعلام الجهادي ..

و لا بد أن نعلم جيداً أن الجولة الأولى التي خسرها المجاهدون هي بسبب ضعف الإعلام الجهادي , أما اليوم فقد تكامل بناؤه و شمخ بنيانه , فأعراض المجاهدين و دماؤهم اليوم هي في أعناقكم, و النكوص من هذه الحرب التي أعلنها النظام أشبه بالفرار من الزحف .

لا سيما و أن المقاصد ليست متوقفة على المجاهدين داخل

الجزيرة العربية بل هي أعظم و أكبر من ذلك بكثير , و هم اليوم يطلبون دم كل مجاهد خرج من بلاد الحرمين , فنصرتكم هي نصرة لكل مجاهد .

و قد أعلنوا هذه الحرب الإعلامية استناداً لما لمسوه من آثارها و نتائجها التي حققوها , و قد أرادوا أن يعيدوا الكرة مع أخطاء فادحة و ثغرات بارزة , فإن لم يتنصر فيها الإعلام الجهادي فلن يكون بعدها للإعلام الجهادي أي أهمية أو أثر يذكر بلا شك .

لقد مضى الزمان الذي يُتغنى فيه بأمجاد سبتمبر أو النقاش حول أهميتها أو خطورة الحرب الصليبية أو أمجاد المجاهدين, لا بد اليوم من الارتقاء بدوره , فالمهمة السابقة التي أداها الإعلام الجهادي كالتحريض و غيره و نجح فيها لم تعد هي مهمة اليوم , و أذكّر بكلمة مهمة غفل عنها الكثير في إصدار : «الأزهر عرين الأسود» حيث قال الشيخ الدكتور أيمن الظواهري - حفظه الله: (كما أود أن أرسل تحية خاصة و رسالة للجنود المجهولين على ثغور الإعلام الجهادي . فأقول لهم : بارك الله فيكم وثبتكم وفتح على أيديكم, و جزاكم خير الجزاء , و عليكم الآن بعد أن ثبّتم أقدامكم في مجال الدعوة والبلاغ - رغم أنف أعداء الإسلام - أن تسعوا للرقي بأعمالكم , حتى تظهر في خير صورة وأفضل عرض , فعليكم بمزيد من النضج و الارتقاء بمستوى البلاغ , وتنقيته مما لا يفيد , و الله يوفقكم ويبارك في مجهودكم و يحفظكم و يجزيْكم خير الجزاء).

جنود متعاونون مع الحملة الصليبية يتفقدون جثمان قائد المجاهدين في جزيرة العرب / صالح العوفي

و لذلك أذكر هنا بعض الملحوظات و التي أرجو أن تؤخذ بعين الاعتبار نصرة لإخواننا في تنظيم القاعدة في جزيرة العرب و للمجاهدين في كل مكان .

أولاً : أعتقد أن أول المهام التي ينبغي عملها هي نشر صور قائمة المطلوبين عبر تصاميم جذابة و يعنون لها بمثل : قائمة الشرف أو قائمة الأبطال و نحو ذلك , ثم نشرها على المنتديات و البريد الإلكتروني العائد لأهل بلاد الحرمين , و ذلك لإزالة الرهبة في نفوسهم و التي ذكرناها سابقاً و ليشعر أهالي المطلوبين بشيء من الفخر و الاعتزاز بوجود من يفخر بابنهم و يعتز به , و هذا لا شك أنه من إخلاف أهل المجاهد بخير .

و كذلك نشر صور من استشهد منهم أو لا يزال يقاتل بتصاميم خاصة يكتب عليها بشكل بارز أنه من المطلوبين في القائمة السعودية .

و لا بد من التأكيد و التنبيه على ملحوظة قتاله للصليبيين و ربط ذلك بخروج اسمه في القائمة , و أنه ما كان ليخرج مع المطلوبين لولا قتاله للتحالف الصليبي , ففي هذا ما لا يخفى من التشكيك في مصداقية الأمن السعودي و زعزعة ما يسمى بالمكانة الدينية المهتزة أصلاً في نفوس الناس و التي ترسخت بعد مجزرة غزة الأخيرة .

فهذه خطوة مهمة لأنه و لا شك سوف يكون هناك قوائم عديدة سيخرجها النظام السعودي بين فترة و أخرى عندما يرى الحاجة لذلك , و بهذا العمل سوف نستطيع إفشال ورقة الضغط هذه , على أهالي المجاهدين و غيرهم من أهالي الرجال الذين يريدون الجهاد , أو نخفف على الأقل من وطأتها و يكون الشعور السائد الاستخفاف بهذه القوائم و التشكيك في مصداقيتها و عدم النظر لهؤلاء بأنهم مجرمون و مذنبون .

و أعتقد أنه من المهم أن تساهم المؤسسات الإعلامية في نشر صور المطلوبين و هم يقاتلون العدو الصليبي - إن لم يضر بأمنهم - حتى يستخدمها الإعلام الجهادي في بيان مقصد النظام السعودي وراء هذه القائمة و يتبين للناس حقيقة أن المستهدف من القائمة هي عقولهم هم لا رقاب المجاهدين !

ثانياً : الاهتمام بالمصطلحات و الألفاظ المستخدمة , و كما رأينا في بيانات النظام السعودي كيف أنه لم يستخدم الفئة الضالة مباشرة , بل استعمل الإرهابيين في بداية الأمر و هي اللفظة التي كانت متقبلة لدى الناس من كثرة ما سمعوها في الإعلام حيث يوصم بها المجاهدون دائماً .

فمن الخطأ الفادح استعمال ألفاظ مثل : آل سلول , النظام المرتد , الطاغوتي ... إلخ , و قد قال علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - : حدثوا الناس بما يعرفون ! , و قد كان شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يعرض عن إعلان تكفير بعض المرتدين لأن ذلك سوف يسبب تنفير الناس و هم لم يعرفوا الحق بعد, و هذا ما نص عليه هو بنفسه - رحمه الله - في بعض رسائله , قال - رحمه الله: (و الله الذي لا إله إلا هو , لو يعرف الناس الأمر على وجهه لأفتيت بحل دم « ابن سحيم» و أمثاله , و وجوب قتلهم , كما أجمع على ذلك أهل العلم لا أجد في نفسي حرجاً من ذلك) و السبب كما بيّن قبل هذا بأنهم يستنكرون هذا و لم يألفوه .

فلابد من استعمال الأسلوب الحسن و الألفاظ التي لا يستنكرها الناس , حتى نستطيع النجاح في هذه المعركة الإعلامية .

ثالثاً : التدرج المتصاعد في الهجوم الإعلامي , فليس من الحكمة أن تبذل الجهود مرة واحدة و قد تكون متبعثرة , بل لا بد من وضع الأهداف القريبة و البعيدة لنعرف مدى فعالية فعلنا من عدمه , فالهدف الأول نشر تصاميم قوائم المطلوبين أو صور أحدهم و الثناء على أفعالهم البطولية في قتال الصليبيين ثم بعد ذلك نشر إصدار من هنا نبدأ و في الأقصى نلتقي و هكذا أو نحوه .
و لا بد من التنبه - أيضاً - إلى أنه من الخطأ الفادح نشر كتاب الكواشف الجلية مثلاً و الناس لديها صورة سيئة جداً عن الكتاب , و لو تم نشر بعض الاقتباسات التي فيها بعض الحقائق التي أوردها الكتاب كتصميم أو مقالة و ذكر المرجع عند تقدير المصلحة في ذلك , حتى يزول الحاجز الذي صنعه الإعلام العميل , لرأينا النجاح الباهر الذي لن يتحقق بنشر روابط الكتاب , بل و لا نشر الكتاب نفسه مطبوعاً على البيوت ! و هكذا أيضاً نشر روابط الإصدارات الصادرة من تنظيم القاعدة في جزيرة العرب مثلاً , دون أن يتم نشر صور مشوقة لمشاهدة الإصدار كاملاً و هكذا .

من الضروري الانتباه إلى عدم التحدث كمتعاطف أو مناصر للقاعدة خصوصاً في المنتديات العامة و نحوها , بل شخص يحب الاستطلاع مثلاً أو كعدو يريد نشر فضائح القاعدة و التحذير منها و وضع الروابط ليشاهدها الناس و يحذروا منها و هكذا من الطرق الإبداعية التي تساهم ببقاء الموضوع و عدم حذفه - مع ملحوظة عدم الاستمرار بهذا المعرف حتى لا يكشف المقصد .

رابعاً : إثارة التساؤلات المنطقية لدى الناس عبر التدقيق على بعض الملحوظات و الثغرات التي تم ذكرها , كسبب تزايد هذه الأعداد و هجرة العائدين من غوانتنامو لليمن و الانضمام للقاعدة هناك , و التشكيك في نجاح الحرب الفكرية التي يشنها الإعلام العميل للنظام و قدرتها على مواجهة مجرد (فكر منحرف) و عدم استطاعتها فعل ذلك , و نحو هذا .. فإثارة مثل هذه التساؤلات سيوجد حرجاً كبيراً للنظام السعودي و يشكك في مصداقيته الكبيرة عندهم كثيراً .

خامساً : استخدام أساليب جديدة في إيصال الفكرة كالاختراق مثلاً , فيتم اختراق موقع وزارة الداخلية أو الخارجية أو التربية و التعليم أو غيرها مما يرتاده الناس - و لتكن مواقع حكومية لا منتديات عامة حتى لا تسبب ردة فعل معاكسة - و وضع التصاميم السابقة أو بعض الإصدارات أو وضع بعض التساؤلات مثل : لماذا تطلب السعودية المجاهدين في أفغانستان أو العراق مثلاً ؟؟ و وضع تصميم لأحد المطلوبين من استشهد في العراق أو أفغانستان مع اسمه .. و هذا له فائدة محققة و كبيرة بلا شك .

هذه بعض الملحوظات المهمة .. و بقية الابتكارات و الإبداعات هي منكم يا أسود الإعلام الجهادي .

الوحدة التنظيمية في الجزيرة العربية

لا أحد يتصور مقدار ما أثاره شريط طوله دقائق معدودة يحتوي على كلام فقط لرجال القاعدة من هلع دولي و محلي و استنفار كبير في أجهزة الجيش و الشرطة , مما جعل النظام السعودي - و حتى الآن - في حالة رد الفعل , و جعل النظام أيضاً يستعجل مخطط القضاء على تدين المجتمع في بلاد الحرمين و يتعجل في محاولة القضاء على هذا المنبع المهم للجهاد بشرياً و مادياً و لوجستياً أيضاً , و هذا مهم جداً في إفشال هذه المخطط .. كما قالت العرب : العجلة هي أم الندامات !

و بالتالي فموقف النظام هو ضعيف من نواحي عديدة إلا في الناحية الإعلامية و لذلك قام باستغلالها - و هذا يؤكد ضرورة أن يقول الإعلام الجهادي في هذه المعركة مقالته و يضع بصمته - .

و الحقيقة أنه لا غرابة في هذا لأنه قد كان هناك تنسيق و عمل جبار طوال الفترة الماضية , و كان من ثمارها انتقال ١١ من العائدين من غوانتنامو إلى اليمن , فضلاً عن غيرهم من المجاهدين ممن يجهلهم النظام حتى الآن .
فإعلان الوحدة لم يكن لأجل نفير اثنين فقط , بل الأمر أكبر من ذلك بكثير و الأيام كفيلة بكشف أمور مذهلة و مزلزلة.

و إذا كان الجنرال / عبد العزيز المقرن - رحمه الله - قد زلزل القوات السعودية و أربكها و جعلها طيلة توليه القيادة على حالة الطوارئ القصوى , فاليوم قد خرج لنا ١١ جنرالاً بل أكثر , بعضهم أكثر خبرة منه بكثير , كلهم يَعِدون النظام السعودي بالويل و الثبور , مما جعل نائب وزير الداخلية محمد بن نايف يمكث في اليمن أياماً عديدة بعد إعلان القائمة .
و لا عجب من إعلان الأمير أبي بصير الوحيشي - حفظه الله -

أن اليمن أرض مدد و إعداد و هذه الخبرات كلها بين يديه , فإذا كان الواحد منهم قادراً على هز دولة , فكيف **بعشرة** ؟ فكيف بأكثر من ذلك ؟
و لست بصدد شرح أهمية اليمن و تواجد المجاهدين فيها و الأهداف و النتائج المرجوة و نحو هذا , فليس هذا مقامه , لأننا نرجو أن يكون للمجاهدين دور كبير في بيانه قولاً و فعلاً ليكون ذلك أوضح و أقوى .

بل ما أريد ذكره للمجاهدين هو بعض الجوانب التي أرى أهمية تحقيقها , و هي تتلخص في أمرين مهمين :

الأول : **الإعلام :**
أنتم تخوضون معركة يطلق عليها في العرف العسكري : حرب الجيل الرابع , و هذه الحرب في حقيقتها تعتمد على الإعلام بشكل كبير , و نستطيع القول أن جهادكم ينقسم إلى قسمين : ١- حرب عسكرية. ٢- حرب إعلامية.
و لا غنى لأحدهما عن الآخر , فالخسارة في أحدهما هي خسارة في الآخر حتماً .
جاء في ورقة قدمها الرائد في الجيش الأمريكي ديفيد هاربر - و هو مدير إسناد للقوات الأمريكية في المحيط الباسيفيكي - في مؤتمر سنوي حول الحرب و الإعلام قوله :
(لا يحتاج المرء إلا مشاهدة التلفاز أو فتح إحدى الجرائد , حتى يعرف شكل حرب الجيل الرابع , إنها الحرب الإعلامية و المعلوماتية) .
و نظراً لأن الهدف الرئيسي لكل جانب من جوانب صراع الجيل الرابع هو الحصول على الدعم و التأييد الشعبي ؛ فإن الصراع الرئيسي أو الصراع الحاسم سيصبح حملة الدعاية المعلوماتية للحرب .
و يوضح دفيد جالولا أصل ذلك في كتابه : (حرب مقاومة التمرد : النظرية و الممارسة) قائلاً : « إن الحاجة الأساسية الأولى التي يسعى إليها المتمرد هي التمسك بالقضية , و القضية الجذابة التي تهدف إلى أكثر من مجرد إثارة أعمال الشغب و خصوصاً في ضوء المخاطر المحتملة و في ضوء حقيقة أن المؤيدين الأوائل و المناصرين النشطاء - الذين هم ليسوا بالضرورة نفس الأشخاص - يتعين تجنيدهم بوسائل الإقناع و الاقتناع بالقضية».
ثم يضيف ديفيد قائلاً :
«من المعروف أن أي قوة تمردية لا يمكنها الاستمرار و البقاء لفترة طويلة دون دعم شعبي ...
و مع وضع ما سبق في عين الاعتبار نجد أن الدعم الشعبي و الإرادة الوطنية يشكلان مركز الجاذبية لأي تمرد و أية حملة لمقاومة التمرد .
إن عزل الجمهور عن التمرد يصبح أحد الأهداف الرئيسية لمقاومة التمرد , و يوضح ذلك جالولا قائلاً : « إن المشكلة المتعلقة بمن يقاوم التمرد هي كيفية الحفاظ على منطقة خالية تماماً من المتمردين , و لا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال الدعم الجماهيري و الدعم الشعبي ... لذا فإن الجمهور يصبح هدفاً لمن يقاوم التمرد كما كان هدفاً لعدوه قبل ذلك).

فهذه هي خطة العدو مكشوفة أمامكم و قد تم تطبيق بعض منها من خلال إعلان القائمة الأخيرة كما سبق بيانه , و ليس عليكم الآن إلا مجابهتها بقوة و تركيز , و هناك أمور كثيرة يمكن من خلالها خلخلة خطة العدو الذي يمتلك زمام المبادرة في هذه الحرب من خلال سيطرته الإعلامية الظاهرة .

قد يتبادر إلى الذهن السعي لتدمير نقاط القوة لدى العدو كتدمير نقاط البث التليفزيوني و نحوها , و لكن هذا سيأتي بآثار عكسية معلومة , و لكن الأفضل غنم أجهزة البث الإذاعي التي توجد عند النظام الطاغوتي و لو كانت قصيرة المدى , و استخدامها في الوقت المناسب و المكان المناسب لتوجيه رسائل إعلامية قوية , كتحذير الجيش و الشرطة من الدخول في مواجهات مع المجاهدين و كطمأنة الأهالي و توجيه الرسائل التي تؤكد حماية المجاهدين لهم و الدفاع عنهم و الذب عن أعراضهم و استرداد حقوقهم المسلوبة و نحو هذا .

و من ذلك أيضاً : تخصيص جزء مهم من النشاط للخدمة الاجتماعية , فعندما سرق الطاغوت اليمني الأموال التي قدمت من الدول العربية لإغاثة المتضررين من السيول , و خدع الناس ببعض اللقطات التلفزيونية الملفقة للمساعدات الموهومة - كما يعلمه جيداً أهل اليمن - , كان على المجاهدين السعي في هذا الاتجاه و تقديم المساعدات للناس و لو بشيء يسير و بيان أنها من المجاهدين , و جمع الصدقات و الزكوات للفقراء و المساكين في القرى النائية , فإن هذا له صدى بين الناس و تطعيم لهم من الافتراءات التي ستلاقي أسماعهم و أبصارهم من خلال الإذاعات و التلفاز و الصحف , فهذه الأعمال و إن كانت لم تقدم من الماديات إلا الشيء القليل , لكنه عظيم في نفوس الناس و سوف ينشرونه بين أهل القرى في كافة النواحي .
و لابد من الحذر من المال السعودي الذي سيغرق اليمن من شيوخ عشائر و حتى جنود الشرطة و المباحث , و الانتباه من الثقة الكاملة بأحد مهما كان , فالحَذِرُ إنما يؤتى من مأمنه .

و لهذا فعلى المجاهدين أن يهتموا بهذا الجانب الإعلامي غاية الاهتمام , فيتحققوا في أعمالهم العسكرية صعوبة إيجاد المدخل الذي يدخل منه العدو لِلّمز في المجاهدين و إسقاط صورتهم و شرعية جهادهم أمام الناس , كرميهم بفرية قتل الأبرياء و تقصد دماء المسلمين و نحو ذلك من المواد الخصبة للإعلام المعادي , و هو أمر صعب لأن الكذب لا حدود له , لكن لا بد من إيجاد البديل القوي الذي يواجه هذه الأكاذيب كتصوير المكان قبل العملية و بعدها و نحو هذا .
و هذا يتطلب من المجاهدين دراسة بعض منهم لكتب الإعلام

المعاصر و كيفية توجيه الجماهير و كسب رأيهم في قضية ما , و كيفية مواجهة إعلام العدو , حتى تكون إصدارات المجاهدين ذات ثقل كبير في حرب الإعلام و مقنع بشكل كاف للمطلعين عليها , و هي كذلك لكن لا يمنع هذا من طلب الكمال البشري .

الأمر الثاني : **الدعم المادي** :
صحيح أن النبي - صلى الله عليه و سلم - قال : جعل رزقي تحت ظل رمحي , و ليس معنى هذا كما معلوم طرح الأسباب, و لذلك أرى أهمية إنشاء وقف لخزينة المجاهدين , أو بمعنى أدق : إنشاء عدة أوقاف صغيرة و متفرقة , حتى إذا كشف العدو أحدها لا تكون الخسارة كبيرة , و هذا أمر مهم في غاية الأهمية لأمرين :
الأول : التدفق المتوقع من المهاجرين , و معلوم لدى المجاهدين أن قدوم المهاجرين من أسباب انفتاح الرزق أمامهم , إلا أن وجود المادة الكافية للتسليح الجيد مهم في غاية الأهمية .
الثاني : حاجة المجاهدين إلى توفير المادة الكافية للأمر الأول و هو : الإعلام , بمختلف متطلباته و منها العمليات النوعية .

هذه مجرد اقتراحات أعلم أن بعضها سيواجه بعض الصعوبات التكتيكية لكن أهميتها الكبيرة يقتضي تجاوزها و مكافحتها و التغلب عليها , فالمعركة لا زالت في أولها و الأمر يقتضي أن تبدأ بداية متميزة و ساحقة , قبل أن يتوالى المدد الصليبي للطاغوت اليمني لمؤازرته و مساندته .. و لا يعني هذا عدم التريث , بل يعني أن تكون البداية بداية ذات خطوات ثابتة و متلاحقة .
و ليستفاد من تجربة إخوانكم في بلاد الحرمين , و استخلاص أهم الدروس و العبر منها و تجاوز الأخطاء التي حدثت , فهذه سنة ربانية , فقد نبه الله عز و جل صحابة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - إلى ما حدث منهم في معركة بدر و أحد و الخندق و حنين و تبوك و غيرها و بين لهم أخطاءهم ليتجاوزوها و علمهم أسباب النصر و الثبات حتى فتحوا مشرق الأرض و مغربها بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه و سلم - .

و إن كانت المصلحة غالبة في إخراجها فليكن ذلك : ليستفيد منها هذا الجيل و من بعدهم فهو سد لجزء مِنْ ثغر لم يُسد , أعني : ثغر الاستفادة من الأحداث الجهادية في جميع الثغور و إبراز سلبياتها و إيجابياتها .

و اللهَ أسأل أن يوفقكم و ينصركم و يسدد رميكم و يثبت أقدامكم و أن يمددكم بمدد من عنده إنه و لي ذلك و القادر عليه .

و الله أعلم .

مؤسسة السحاب للإنتاج الإعلامي

تقدم

من كابل .... إلى مقديشو

لحكيم الأمة

الشيخ / أيمن الظواهري - حفظه الله -

جودة عالية

MB 215

http://ia331416.us.archive.org/0/items/Kabol/ktm.divx

جودات مختلفة

http://www.archive.org/details/Kabol

فضائية الفاخورة تذيب سُمّها في عسلِ نصرة غزّة

أبو طه المقداد

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على نبي المرحمة ونبي الملحمة محمد بن عبد الله المبعوث بين يدي الساعة بالسيف ليعبد الله وحده وعلى آله وصحبه و التابعين, وبعد:

«برعاية قناة الجزيرة وطلاب جامعة قطر الدولية تم أفتتاح وبد بث فضائية الفاخورة لنصرة أهل غزة ورعاية أطفالها»

توقعت أن أحتاج إلى ساعات طويلة من المتابعة للتعرّف على الأهداف الحقيقية المضمرة وراء نصرة غزّة وتعليم طلبتها الذي أعلنته قناة الفاخورة الفضائية ؛ ذلك لأنّ قناة الجزيرة وظفت جزءاً من طاقمها لتغطية برامجها المبثوثة، و الجزيرة معروفة بالدهاء المتقن والدعاية المموهة جيداً حتى أنّ رسالتها تأثّر بها عقلاء وحيلها انطلت على أصحاب رأي ومفكّرين. غير أنّني والفضل لله وحده استخرجت من متابعة لم تتجاوز الساعة ونصف الساعة معلومات كثيرة، و وقفت على أهداف خطيرة وبواعث خبيثة وأساليب حقيرة استخدمتها القناة المتلفعة بثوب النصرة ومساندة الطلبة.

ما هي قناة الفاخورة؟

ترجع التسمية إلى اسم برز في وسائل الإعلام لمدرسة تديرها الأمم «المتحدة» في مخيم جباليا للاجئين شمال قطاع غزة تعرضت للقصف يوم السادس من كانون ثاني/يناير ٢٠٠٩ ما أدى إلى استشهاد ٤٠ شخصا _نحسبهم كذلك_ وإصابة آخرين من الأهالي الذين سكنوا المدرسة عوضاً عن منازلهم التي دمرها اليهود الصهاينة، ولم تتخذ ما تسمى هيئة الأمم المتحدة إجراءات ترتقي إلى مستوى الاعتداء على إحدى منشآتها مما يدلل على مدى تواطئها مع القتلة.

واستغل القائمون على الجزيرة الفضائية حالة التعاطف الكبيرة (التي سادت ربوع العالمين) مع الضحايا الذين قتلهم اليهود داخل تلك المدرسة لتكون اسماً لافتاً للانتباه ومدخلاً ملائماً إلى قلوب الناس حتى يسهل عليهم تمرير الأفكار وزراعة القناعات الفاسدة في نفوسهم.

وجاء على موقع «قناة الفاخورة الفضائية» الإلكتروني: « الفاخورة حملة دولية أطلقها طلاب دولة قطر بدعم من قبل صاحبة السمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند، المبعوث الخاص لليونسكو للتعليمين الأساسي والعالي» .

وهنا نحن بحاجة إلى تدقيق في طريقة عرض الفكرة، والشخصيات التي قدمتها ، و وصولها إلى مستوى زوجة رئيس قطر الموكّل من أمريكا حمد بن خليفة ، وتخصيص الأموال لبدء العمل، واتخاذ قرار بتوجيه طاقات بشرية وفنية لها من قناة الجزيرة لإدارتها، ودفع عجلتها نحو الأهداف التي حِيكت من ذي قبل , كل هذه تساؤلات بحاجة للإجابة، فكم من مبادرة طلابية وغير طلابية دُفنت في الأدراج أو تراكم عليها الغبار.

الأهداف المعلنة

عوّدنا أعداؤنا أن يخفوا حقيقة مرادهم لأنها دائماً شرٌّ يراد بنا وكيدٌ يكاد لنا ، ويتوارون خلف شعارات برّاقة وتوجهات ظاهرها الرحمة، ويصيغون خطابهم بما يتلاءم مع الوعي العام ، و الحس السائد ليتمكنوا من التوغل في أعماق النفوس واجتياح القلوب والسيطرة على مركز العقل وتوجيه السلوك.

وليست فضائية الفاخورة مستثناة من هذه العادة الغربية التي لا زالت تلاقي نجاحاً مع قلوب فارغة من التوحيد الخالص لله عزّ وجلّ ، فقد أعلنت هذه الفضائية عن أهداف جعلتها مسوغاً لوجودها على الأقمار الصناعية تتراءى للناس في دعم التعليم بقطاع غزّة، ونصرة المعتدى عليهم هناك، وتعبير عن التضامن مع أطفالهم، والسعي لدعم الطلبة بغزّة.

وقالت القناة على موقعها الإلكتروني « تشتمل رسالة الفاخورة على ثلاثة أهداف هي التالية:

- ضرورة حماية التعليم في غزة.
- دعم جهود منظمة أيادي الخير نحو آسيا لإعادة بناء البنية التحتية التعليمية في غزّة.
- إقامة تحالفات بين طلاب العالم بغية مساءلة المسؤولين عن الاعتداءات على التعليم في أوقات الأزمات.

داعمو فضائية الفاخورة

من داخل قاعدة السيلية في قطر - اللمسات الأخيرة قبل احتلال العراق

ومن المعلوم في العلاقات الإنسانية بالضرورة أنّ من يدفع الثمن يحدد السياسة فمن هم الذي يتحكمون في توجهات قناة الفاخورة إن سلمنا أنها مبادرة طلابية بحتة تقدم بها طلاب قطر نصرة لغزة التي خذلتها حكومتهم سنوات طويلة وأقامت مع قاتلي أطفالها ورجالها ونسائها علاقات وطيدة , سؤال لدينا الإجابة عليه ضمن ما هو معلن!.

لا تخفي قناة الفاخورة الفضائية أن المبادرة الطلابية لاقت دعم الشيخة موزة بنت ناصر المسند. وهذه تحمل صفتين إحداهما أنّها زوجة رئيس قطر ووصفتها القناة بأنها السيدة الأولى هناك، والأخرى أنها المبعوث الخاص لليونسكو للتعليمين الأساسي والعالي . وبالنظر إلى توظيف طاقات من قناة الجزيرة في هذه الفضائية يتبين لنا أنها مدعومة بشكل رسمي من «دولة قطر».

والوجه الآخر المتعلق باليونسكو إذ أعلن مديره العام كويتشيرو ماتسورا في بيان رسمي دعمه لـ « الفاخورة » وللجهود التي تبذلها « صاحبة السمو الشيخة موزة بنت ناصر المسند» من أجل حماية التعليم ودعم طلاب مدارس غزة على حد قوله.

وقد خبرنا جرائم اليونسكو الفكرية والثقافية وسعيها إلى نشر العولمة وتدمير القيم والأخلاق وتحويل الثقافات المغايرة لثقافة الغرب البائسة إلى خرافات لا يمكن القبول بها، ولها مساع خطيرة على النسيج الاجتماعي والمعتقدات الصحيحة التي جاء بها الوحي الثابتة عقلاً ونقلاً.

وقطر التي تحتضن أكبر قاعدة حربية أمريكية منها ينطلق الموت إلى المسلمين في أنحاء متعددة بمحيطها، وقناتها الفضائية الجزيرة قد ضبطناها متورطة في ممارسة الدعاية الموجهة والحرب النفسية ضد المسلمين في أكثر من موضع وفندنا دعواها وأبطلنا محتويات رسائلها الإعلامية بطريقة علمية تستند إلى أصول المهنة الصحفية في رسائل منشورة لنا بعنوان: «امسك وسيلة إعلامية معادية»

محتوى بثها

والخطورة تكمن في تراكم الجهد الإعلامي للمحتوى الذي يتم بثّه من خلال هذه الفضائية ، ومما تسنّى لنا الاطلاع عليه ظهرت بعض الأهداف الخفية والتي من بينها ما يلي:-

١) تقديم الدعم لما يسمى «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» الذي نقضه علماء العقيدة المسلمون بنداً بنداً وبينوا ما فيه من كفر وتبديل لشريعة الله عزّ وجلّ وعدوان على الحقوق التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم بما يوحى إليه.

فمن شعارات الفاخورة الفضائية التي تعلنها :

«دفاعاً عن الحق في التعليم» وهذا باب من أبواب الإعلان العالمي المذكور، وجعلت لذلك باباً عاطفياً ومدخلاً شيطانياً كمثل «التعليم الوجه الآخر للمقاومة»، و«أطفال غزّة ألوان حياة في حديقة موت» ، وهنا لا أريد الخوض في دلالات الشعار الأخير لأركز في الحديث عن الحق في التعليم.

قال الله عزّ وجلّ في سورة التوبة آية ٩٧ : « الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفَاقاً وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» ، وهذه دلالة قاطعة على أنّ حق التعليم في دين الله تعالى غير مكفول لكل واحد فهناك أنواع من الناس يجب أن يحرموا من التعليم وهم أجدر بأن يكتم عنهم العلم فالجهل أنفع لهم ولغيرهم.

٢) تحسين عمل الفساق والكافرين الفاعلين لنهي الله عن المعازف والقينات ورسم ذوات الأرواح والنحت وصناعة التماثيل ووضع بعض أعمالهم هذه ضمن الصورة الجميلة المعبرة عن التضامن وفعل الخير.

ومما تابعتُ مجموعة ممن يسمون بالفنانين أحدهم إيرلندي كافر يلبس في يده سلسلة قدمته مذيعة الفاخورة على أنه فنان صاحب مشروع يستحق الاهتمام ، وطلبت منه أن يعرض أمام المشاهدين تجربته الموسيقية الغنائية والحفل الخيري الموسيقي الذي أقامه وجعل أمواله في خدمة مشروع «إنساني».

وحضرت امرأة سافرة _ اللهم اغفر لنا ذنوبنا _ وبدأوا يبثّون لها أغنية ترافقها كعادتهم الموسيقى تقول فيها لبيك يا علم العروبة كلنا نفدي الحمى ، وهي كما قالت تلك المرأة صنعتها خصيصاً لمساندة أهل غزة المعذبين على أيدي اليهود المجرمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد قليل جاء رجل يحمل عوداً وفتاة سافرة كمثل مذيعة الفاخورة _ ربنا كفّر عنّا سيئاتنا _ وأخذوا يتحدثون عن تعاطفهم الكبير مع أهالي قطاع غزة وشفقتهم على أطفالهم ، وكرههم لأعدائهم ، ورغبتهم في تقديم أي شيء من شأنه أن يخفف من آلامهم ، والمصيبة المركبة أن تلك الفتاة المبارزة بمعصية السفور تقول أنها تتبرع بإقامة حفل غنائي أسمته بالخيري لدعم أطفال غزة.

ويواصل مذيعو «قناة الجزيرة» المنتدبون إلى «قناة الفاخورة» مهامهم بحرف أجيال المسلمين عن المسار الصحيح عبر

إبراز هذه الشخصيات المجرمة بحق النشء الساعية لإفساد شبابنا وفتياتنا بتمجيد من يسمونهم الفنانين وإيصال رسالة مفادها: « الفنان يعكس هموم المجتمع وهو ذلك البصيص من الأمل الذي نوجهه لأطفال غزة ».

وأعلنت الفاخورة الفضائية عن عرض « لوحة جميلة للفنان العالمي مقبول حسين » للبيع في المزاد العلني داعية المشاهدين إلى التسابق من أجل الحصول عليها، وهذا فيه بعدٌ عميقٌ لوضع هؤلاء المفسدين في الواجهة وفتح القلوب والأذهان لهم، وكرر المذيعون قولهم بأن من وصفوه بالفنان العالمي انطونيو باندويدراس قدّم سيفاً، وواصلت بث أغانٍ بالعربية والإنجليزية وبالطبع على وقع مزمار الشيطان الموسيقى.

٣) نشر الاختلاط المحرّم بين الرجال والنساء ؛ إذ يظهر في خلفية اللقاءات الحوارية شباب وفتيات في حالة اختلاط وغالبية الإناث الظاهرات في خلفية الصورة سافرات لا يلتزمن اللباس الشرعي.

٤) جلب التبرعات من جيوب العرب والمسلمين إلى منظمة اليونسكو، ومؤسسة أيادي الخير نحو آسيا التابعة للعائلة الحاكمة في قطر الموكلة من الأمريكان.
وهذا التحريض على دفع الأموال قد يظن البعض أنه يعود بالفائدة المباشرة على أهالي قطاع غزة غير أن المستفيد منه بالضرورة هي اليونسكو والذي تعاني الدول التي أسستها (لاستدامة السيطرة على العالم) من أزمة مالية خانقة، وهم بحاجة إلى الإبقاء على هذه المؤسسات ريثما يتحررون من أزماتهم ولذلك فهم يتحركون نحو غيرهم لتمويل مشاريعهم في بلدان متعددة وهنا يدفع العرب ويجني الغرب الفوائد ، وكذلك وكلاؤه في حين أن إصلاح المدارس المتضررة من القصف الإسرائيلي هي مهمة المؤسسة الدولية التي تديرها ومسؤولية الفاعل الذي دمر المدارس وأوقع القتل بداخلها.

٥) إصلاح صورة الأمم المتحدة ومؤسساتها في أذهان الناس بعد أن ظهر تواطؤها على الدماء وتنصلها من مسؤولياتها الافتراضية وامتناعها عن تحميل الفاعل المسؤولية عن تبعات فعله والاكتفاء بالكلام العام غير المنضبط بضابط.
وهذا الإصلاح يمكن التعرف عليه من خلال شخصية موزة بنت ناصر المسند المبعوث الخاص لليونسكو للتعليمين الأساسي والعالي، واستضافة شخصيات من بينها ميجيل ديسكورتو رئيس الدورة الـ٦٣ في الجمعية العمومية بالأمم المتحدة.

٦) صناعة رموز معينة في أذهان الشباب والأطفال المستهدفين مباشرة بهذه القناة الماكرة وأغلبهم كما ظهر وسنوضح أكثر من الفساق والكافرين ومن يسمونهم النجوم و الفنانين.
فمع الإكثار من حضور الممثلين والممثلات والمطربين و المطربات والرسامين والرسامات والفنانين و الفنانات والمخرجين والمخرجات والشيحة موزة والشيحة عائشة ومذيعات الجزيرة بالشكل المعهود تتكون لدى هذه الشريحة من الجمهور صورة ذهنية بأن هؤلاء هم الرموز المحركة المؤثرة في الأمة المعبرة عن أحوالها المطلوب منها التحرك والتصدر بطاقاتها وتوصيل الرسالة إلى الجهات المتعددة ويضفي عليهم بعداً لم يكن ليظهر في الأذهان من دون هذا الضغط الإعلامي وهو الشعور الآدمي.

ومما يزيد الصورة وضوحاً ما أخبرني به أحد الإخوة الكرام ممن شاهدوا«الفاخورة الفضائية» بأن «الشيخ غازي الشمري» وهو من مشايخ جزيرة العرب اتصل على هذه القناة فكتبوا تعريفاً له على النحو التالي: اتصال، غازي الشمري ، السعودية والمذيعة قالت معنا مواطن خليجي على الهاتف.

وهناك إشارات أخرى في هذا الصدد حيث أن مسرح قطر الوطني كان المكان المخصص لاستقبال (التبرعات)، وبالنظر إلى المسارح ودورها التدميري وبالتدقيق في كلمة التبرعات وهو الاسم الغربي للإنفاق في حين أن المسلمين يدفعون الزكوات والصدقات ويقصدون بها رضى الله تبارك وتعالى، يمكن أن نصل إلى التعرف على المزيد مما يخفيه القائمون على القناة.

الضيوف والمشاهير

وإذا نظرنا بشكل سريع إلى الضيوف الذين أعطتهم قناة الفاخورة الفرصة لمخاطبة الجماهير المحبّة لغزّة التواقة لنصرتها نعرف مدى الخبث ومبلغ الجريمة: فمن هؤلاء الشيحة موزة بنت ناصر المسند وهي المبعوث الخاص لليونسكو للتعليم الأساسي والعالي وهي زوجة وكيل الأمريكان في قطر حمد بن خليفة ، وميجيل ديسكورتو رئيس الدورة الـ٦٣ في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، وبوب جليدوف «فنان إيرلندي»، ولطيفة التونسية «قينة عربية» ، والشيحة عائشة آل ثاني عضو مجلس إدارة روتا أيادي الخير نحو آسيا، ودينا الحايك «قينة لبنانية» وجورج الصافي «مفسد لبناني»، وجمال قرماني «تشكيلي».
وفيما يخص رئيس دورة الجمعية العمومية فإن القناة عمدت إلى إخفاء صفته الدينية النصرانية ولكن جيلدوف الذي كرر وصفه بالأب كشف هذه الصفة، فماذا يمكن أن نسمع من بابا النصارى على شاشات التلفزة الموجهة إلى المسلمين غير ما يحببهم في الشرك ويكرهم في الإسلام ويظهر الكفار

أكثر اهتماماً بقضايا المسلمين، كما أن هؤلاء الضيوف ظهروا خلال الساعة ونصف الساعة التي تحدثت عنها في بداية مقالتي هذه، فمن أحضروا من رموز الهدهد لشبابنا وأطفالنا ورجالنا ونسائنا المحبين لغزة غير من رأيت ؟!.

وعندما أردت أن أتثبت من الأهداف المعلنة لقناة الفاخورة الفضائية انتقلت إلى موقعها الإلكتروني وهناك وقعت الدهشة وشعرت بالذهول من مدى الانحدار وانكشاف التوجهات بهذا الشكل السافر فرأيت صوراً تتحرك بشكل فلاشي لفئة اسمها مشاهير الفاخورة وصورهم وأسماؤهم فوجدتهم مغنين وممثلين وهناك اصطدمت مع صورة لنانسي عجرم التي يكثر الضلال من الناس الحديث عنها، نعم ألا تعرفها إنها القينة المشهورة صاحبة الصيت الذائع في العريّ والإفساد، إنها الآن من مشاهير الفاخورة الذين يبذلون قصارى جهودهم لنصرة غزة ودعم تعليم طلابها!, د

ففكّروا معي مليّاً ماذا يمكن أن يتعلموا على أيدي هؤلاء؟

هم العدو فاحذرهم

أعلمُ أن كثيراً من الناس وأخصّ العرب سعيدون بهذه القناة الفضائية وتفاعلوا مع توجهاتها المعلنة بشكل إيجابي، ومنهم من قدّم عن حسن نيّة المال والدعم بقصد الوصول إلى أهالي فلسطين وإعادة بناء مدارسهم، وهذا أمر طبيعي في زمن الغثائية وحالة الغفلة الشديدة التي يحياها الناس في هذه الحقبة القاسية.

ولو أنّ أحدنا يمعن النظر فيما يُقدّم إليه من معلومات ويضع الأمور في نصابها لتوصّل بهدوء إلى أن الفاخورة مبادرة أمية برعاية قطرية لترميم صورة الأمم المتحدة التي مزقتها الحروب الدائرة في فلسطين والعراق والصومال وأفغانستان وغيرها وهي لا تفعل ما تُسوِّقه لنفسها من حفظ السلام ورد العدوان ونصرة الضعيف حتى تهاوى بنيانها في النفوس وهذه الحملة ببرامجها الممتدة تسعى لترميمه وإحيائه.
ولو دققنا لرأينا أن قطر ترمي إلى تسويق نفسها كحامية لحقوق المستضعفين ونصيرة للمكلومين بعد أن تجلت حقيقتها بانطلاق العدوان على المسلمين من أرضها.
ولعلمنا أن أم الكفر والإلحاد التي تعاني من أزمات أظهرها المالية تريد أن تخفف من أعبائها وإليها تصل «التبرعات» من جيوب المسلمين في العالم لاستمالة قلوب المسلمين في غزّة وفلسطين، ولاتّضَحَ لنا بسهولة الترويج للفساق والكافرين والملحدين وأعمال الطرب والمجون والانحراف خلف عنوان عريض من النصرة والدعم لغزة.

فاحذروا أيها الناس وتفحصوا كل كلمة وإشارة وصورة يصل بها الإعلام إليكم ولا تكونوا كالإناء الفارغ يقبل كل ما يصب فيه حلواً كان أو مُرّاً , خيراً كان أو شرّاً.

أبطال الجزيرة يُعِدّون العدة لإسترداد الأقصى

تفريغ كلمة صوتيه لأمير تنظيم قاعدة الجهاد في جزيرة العرب

بعنوان.. « وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ »

قال تعالى : «ولما وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا» .

أمتي الغالية ..

أود أن أطلعكم اليوم عن مثل يوم الأحزاب حين تقاسموا على الكفر وتواعدوا على استئصال شأفة المسلمين في دار الأنصار مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت الأحزاب بخيلها ورجلها وأحباشها وأوباشها وبمكر من اليهود ، وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد تجمعت الأحزاب اليوم على أرض الإيمان والحكمة ، فجاء الصليبيون من فرنس و إنجليز وإفرنج إلى البحر العربي وخليج عدن ، وحاصروا جزيرة الإسلام من البحر ، وجاء حكام آل سلول بمنافقيهم وعلى رأسهم محمد بن نايف ، وقام هذا الروبيضة علي عبد الله صالح بفتح البلد صاغرا ذليلا لهذا الاحتلال السافر، ليرضوا عنه وما هم بفاعلين .

وجاءوا بعدة أعذار واهية فالقراصنة من البحر ، والمخربون «زعموا» من البر ، ومقصد هذه الحملة الصليبية الجديدة إقامة دولة اليهود المزعومة من النهر إلى البحر ، وهدم بيت المقدس ، والقضاء على الصامدين الأبطال في غزة ، والسيطرة الكاملة على جزيرة الإسلام ، فافهموا أبعاد خطتهم ومكرهم .

فهي والله حرب واحده ، تفننوا في الخداع فيها، وأعانهم الخونة كما فعلوا في غزة وبغداد ، فو الله إن العميل علي عبد الله صالح في اليمن كالعميل عباس في فلسطين ، و محمد بن نايف كمحمد دحلان ، فهم جزء من هذه الحملة، ليكملوا المخطط المرسوم ضد الشعوب المسلمة ، لمنعها وعزلها عن نصرة إخوانهم في غزة ،كما نجحوا في مصر والأردن وبلاد الحرمين وغيرها .

أن هذه الحملة العسكرية التي تتحشد في مأرب والجوف وشبوة وأبين وصنعاء وحضرموت ، وتكتموا عليها إعلاميا، ما هي إلا خطوة لضرب القبائل وأبنائهم بحجج واهية كاذبة مقصدها الحقيقي كسر هيبة القبائل ، ونزع سلاحهم والسيطرة على أرضهم ، وقتل أبنائهم ليسهل على العملاء الأنذال ومعهم الحملة الصليبية إذلالكم ، فكونوا على حذر .

إن قادة هذه الحملة من آل سلول والأسود العنسي ، لم يذهبوا إلى غزه ليدفعوا الضرر عن أطفالها ونسائها كما شاهدتم وتشاهدون ، بل انحرفت بوصلتهم ، وحركوا جيوشهم ودباباتهم وطائراتهم إلى قبائل الأشراف ، وعبيده ونهم وجهم ودهم ومراد والعوالق وعله والعواذل وخولان ووائلة والمياسر وبالحارث وغيرها .

إن هؤلاء الخونة منعوا في الأمس القريب من حضور القمة العبثية ، وجاءوكم بالطائرات والمدفعية ، وجاءكم الروبيضة يبرر فعلته البشعة في حصاركم ، ويتهم وجهائكم على مرئي ومسمع من الناس بأنهم منافقون مجاملون ، فإلى متى تصبرون ؟ .

يسرق نفطكم وغازكم وليس لكم منه إلا المن والأذى ، ويريد أن يأخذ سلاحكم ويسيطر على أرضكم ، ويفعل بكم كما تفعل اليهود بغزة، هذا والسلاح بأيديكم ، فكيف لو نزع سلاحكم وأحكم عليكم السيطرة ، وفرض عليكم الذلة ، فماذا تظنون انه فاعل بكم ؟ .

أيتها القبائل الأبية التي شرفها الله بنصرة دينه ، وسطر لها التاريخ في صفحاته أنصع صور البطولة والرجولة ..

إن إخوانكم في غزه يقاتلون بالحجر ، ورأيتم ثباتهم وصبرهم على الحرب ، وأنتم تملكون العدة والسلاح ، وغيره لم تنزع ، وحرص على نصرة الإسلام كما عرفتم بذلك ، جزاكم الله خيرا ، فاليوم يومكم ، فقوموا عليهم قبل أن يتسلطوا عليكم غدا ، قوموا قومه رجل واحد ، وقاتلوا عن دينكم ، ومكارم أخلاقكم ، وأغيثوا من استجار بكم ، وأعيدوا تلك الصفحات المشرقة في النصرة والجهاد.

لا تخذلوا أمة الإسلام ، لا تخذلوا أمة الإسلام ، فعيونها والله عليكم، وأمالها معلقه بكم ، فأنتم الوحيدون في جزيرة الإسلام من تملكون السلاح ، فأنصروا المظلوم، وأغيثوا الملهوف ، فإخوانكم في غزه ينتظرونكم على أحر من الجمر ، فأغيثوهم وارفعوا عنهم القتل والحصار .

إن أجدادكم هم من فتح فلسطين والشام والعراق ، ووصلت خيولكم إلى أبواب فرنسا وتخوم الصين ، وأبناءكم هم من سطر أروع صور البطولة في بغداد وكابل والقوقاز والبلقان وغيرها ، وكان لهم مجد وشرف تدمير أمريكا .

فأين أحفاد أبي طارق العرادة ، وأبي علي الحارثي، وأبي الحسن المحضار، وسالم الحداد ، وأبي مسلم النهمي، وغيرهم .
فإن كنتم تسمعون فإن الإسلام يناديكم .

أيها المجاهدون على أرض يمن الإيمان والحكمة ..

والله إنها حرب مقدسة ، قامت في سوقكم ، وعلى أرضكم، وفي جزيرتكم ،اختارها الله لكم ،وساقكم إليها، لينتشر الإسلام من حيث بدأ ، وتعود الفتوحات إلى أهلها، وتنطلقون على عجل ، إلى أكناف بيت المقدس ،
قال صلى الله عليه وسلم (تغْزُونَ جزيرَة العرب، فيفتحها الله، ثم فارسَ ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الرومَ ، فيفتحها الله ، ثم تغزون الدجال فيفتحُه الله). وخصّكم صلى الله عليه وسلم بجيش يخرج من أرضكم (يَخْرُجُ مِنْ عَدَنٍ أَبْيَنَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا يَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ هُمْ خَيْرُ مَنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ) .

فاستعدوا للحرب ، واصبروا وصابرو ورابطوا ووطنوا أنفسكم عليها، فلا يأتي نصر بدون حرب وتضحيات ، وتواصوا بالموت على أرض جزيرة الإسلام، فهو شرف الدنيا والآخرة ، فأنتم قد رويتم بدمائكم أرض الرافدين ، وذرى خراسان ، وجبال القوقاز، وأرض الصومال ، وبلاد البلقان، فأولى لكم أن تسكبوها دفاعا عن دينكم وأرضكم ومقدساتكم التي دنسها الخونة .

استعدوا بألغام الدبابات ، والعبوات والأحزمة الناسفة ، والقناصات والكمائن المحكمة ، والاقتحامات الجريئة ، وليكن لكم المبادرة في كل ذلك وخاصة سكان المدن ، فالدور عليهم كبير وعظيم .

وإن هزمتم هذه الحملة ، فما بينكم وبين الفتح قليل ولا كثير، وإنما هي نطحة أو نطحتان ونهزم الأحزاب ، ونغزوهم ولا يغزونا .

وأما انتم أيها الجنود الظالمون الغازون لأهلكم وقبائلكم وبني جلدتكم ..

أين ذهبت عقولكم ، وأين غيبت ضمائركم ، تقتلون شعوبكم من أجل اليهود والنصارى ، فلماذا لا تفكرون وتصوبون الدبابات والطائرات التي تروعون بها النساء والأطفال وترهبون بها الناس نحو اليهود قتلة الأطفال والنساء في غزة وفلسطين.

لماذا سلم منكم المجرمون من اليهود ولم تسلم منكم شعوبكم ، إن أنكر المنكر أن تمر سفن النصارى الحربية بإذن من حكامكم لتقتل المسلمين في غزة وبغداد وعلى أعينكم بل وتحرسونها ،

عودوا إلى غيرتكم ونخوتكم العربية على الأقل ، فلن ينفعكم الحكام الخونة غدا عند الله .

وفي الأخير أوجه ندائي إلى أحفاد الصحابة في نجد والحجاز وأهلنا في الخليج ..

أغيثوا إخوانكم أبناء القبائل في يمن الأيمان ، فإنهم يقاتلون عن دينكم ومقدساتكم ، ويريدون الوصول إلى غزة وفلسطين، فإن الإسلام نزل عليكم ، والجهاد أول ما فرض عليكم ، فأنتم حماته والذابون عنه ، وانتشر بفتوحاتكم وقتالكم ، فمسؤولية الدفاع عنه وعن أهله في أعناقكم ، وتحرير بيت المقدس وإنقاذ غزة أمانة في أعناقكم ، فإن باعها الحكام الخونة ولم يتحركوا ، فلا عذر لكم عند الله ، فيجب عليكم القيام بأمر الإسلام والجهاد وإن لم تقوموا اليوم فمتى بربكم تثورون، فأحيوا فريضة القتال وأعيدوا ذكر القادسية واليرموك وأمجاد حطين ،

وما النصر إلا من عند الله ، والحمد لله رب العالمين .

وشمس المكرمات هنا تغيب

انترنت / صحف :

سلمت السلطات المصرية (الخاضعة لسيطرة الحملة الصليبية) فتاة أشهرت إسلامها إلى الكنيسة الأرثوذوكسية حيث تم إيداعها أحد الاديرة بالقاهرة.

وكان العشرات من الأقباط قد هاجموا مركز شرطة ملوي، مطالبين السلطات بتسليمهم الأخت عبير التي أعلنت إسلامها، حيث اقتحمت الشرطة منزل الأسرة التي آوت الأخت عبير، وقامت بتفتيشه، ثم اعتقلتها ونقلتها إلى مركزالشرطة.

وصبيحة يوم ٢٨,٢,٢٠٠٩ نُشر، إعلان المتحدث الرسمي باسم مطرانية ملوي القمص «بولا أنور»، والذي أعلن أن الفتاة لم تُسلم لأسرتها وإنما استلمتها الراهبة «هدى حشمت»، تمهيدا لإيداعها أحد الأديرة بالقاهرة!

وفي حين لم يُكشف بعد عن مصير الأخت الكريمة وفاء قسطنطين ـ والتي قيل إنها قُتلت داخل أحد الأديرة، تحت التعذيب والإيذاء البدني والنفسي، بسبب تحولها عن المسيحية، فإن ضحية جديدة تضاف إلى سجل الضحايا الذين غُيبوا داخل أسوار الكنائس القلاعية، فيما لا يجرؤ أحد على أن يسأل عن مصيرهم بما فيهم سلطات التحقيق الرسمية!

وفاء قسطنطين كانت سيدة راشدة عاقلة، تخلت عنها الدولة المسئولة عنها، وسلمتها إلى رجال دين متطرفين ليفعلوا بها الأفاعيل، ثم تختفي هناك داخل فيافي وصحاري مصر الموحشة! ولم يتبق منها إلا الإسم وذكرى مؤلمة وجراح .

ابنة ملوي «عبير» الصبية التي لم تتجاوز الـ ١٧ ربيعا، سُلمت ربما لتلقى ذات مصير وفاء قسطنطين، فيما توارى الجميع.

«عبير» هذا الإسم يصر دوماً على فضح تخاذلنا، ولم يندمل بعد جرح عبير العراق التي أحرق الصليبيون جثتها بعد أن تناوبوا اغتصابها.

ولا يعرف حتى الآن مصير عبير مصر التي ربما قد تكون نقلتها سيارة التراحيل التابعة للكنيسة، إلى ذات الدير الذي خُضبت جدرانه باليدين النازفتين.. للأخت الضحية وفاء قسطنطين.

اليوم ماذا عساها أن تفعل الصغيرة عبير؟!.. كيف يتحمل قلبها الغض، كل هذه القسوة وهذه الوحشية.. كيف نحميها من اليأس والاستسلام لجلاديها، وهي ترى أجهزة عاتية بالدولة، تتركها «سبية» لمن لم يتورع من قبل عن إسدال الستار على حياة الكثيرات من من اخترن طريق الإيمان ؟!

إذا كان المجتمع كله ـ بمؤسساته الرسمية والأهلية والدينية ـ قد تخاذل فيما يتعلق بمحنة وفاء قسطنطين، حتى بات مشاركا بالتواطؤ فيما آل إليه مصيرها، فإن مصير «عبير» سيكون في رقبة الجميع أيضا، بل الأخطر، أنه سيضفي الشرعية على عملية تسليمها للكنيسة، وسيؤصله كـ «إجراء عادي» ومقبول وإنساني وقانوني ودستوري وأخلاقي، مع اللاحقات من المسلمات، اللاتي ربما يعشن ذات المحنة.
إن قوى التنوير الحقيقية في مصر، مدعوة اليوم للتصدي لهذه البربرية التي لا يمكن أن تحدث في دولة محترمة وتريد أن يحترمها الآخرون.